

أبين الخولي

من هدى القرآن

في رمضان



الجمعية المصرية السامية للكتاب

١٩٨٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عقول . . وقلوب

« قُلْ : هَذِهِ سَبِيلِي .. أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ، عَلَى بَصِيرَةٍ ، أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ،
وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ »

هذه أحاديث أذيعت ، في رمضان ، عن رمضان ، خلال ثمانية عشر
عاماً من ١٣٦٠ هـ إلى ١٣٧٨ - ١٩٤١ - ١٩٥٨ م .

وكان الرسم في تلك الأحاديث أن يتقبلها أولئك الذين لا يعرفون
الطريق إلى المعابد . يحسبون أنهم شيوخ عن التلقين الإيماني ، وجاوروا
دور الغيبية المقلدة ، وفاتوا طور السداجة التي تقومها الترنيمات البدائية ،
في عباراتها الزخرفية ، الخاوية ، المحنطة .

فكانت تلك الأحاديث موضوعات برأسها ، يدرس كل موضوع
منها من نواحيه المختلفة ، في سعة وعمق ، وحرية وصدق ، لم تنج أحيانا ،
من برم أصحاب الإذاعة بأشياء فيها ، حين يفيسونها بمألوفهم من أحاديث
عن شئون دينية . .

وكانت تلك الأحاديث كما رأى القساريء فيما نشر من غير هذا
للموضوع - وكاسبرى فيه - - منهجا في فهم القرآن ، نفسياً واجتماعياً

ثم أدبياً فنياً ، يعتمد على الحس اللغوي لألفاظه وعباراته .. ويعمد إلى دقائِق بيانه البليغ في تراكيبه واستعمالاته ، وعن هذا الطريق يعرف مراميه ومقاصده .. ويحكم هذا القياس فيما قال الناس من قبل ، عن تلك المرامي والمقاصد ، ويعترف بما أقره .. وينكر ما أباه .

من أجل ذلك النهج المحكم كانت تهتف تلك الأحاديث بين الحين والحين منادية : أيتها العقول للفكرة .. أيتها القلوب المؤمنة .. تحتكم إلى العقول حين تلفت إلى ما يتقبله العقل الكبير الحر .. وتحكم القلوب حين تناسي بما يطمئن إليه الوجدان الدقيق الحساس ..

وأرجو أن يجسد هؤلاء وأولئك ، فيما يقرءون اليوم من تلك الأحاديث على هدوء وهوادة ، مثل الذي رجوت أن يجدوه حين مماعها مشافهة ، بإلقاء موجه ..

إن هذا القرآن لأهل لأن يتذوق فيمتع ، قدر ما هو أهل لأن يتدبر فيتمعن .. ولعل هذه الأحاديث — وغيرها من هدى القرآن — قد عرضت طرفاً مرضياً من فنه .. وحكمته ؛ وإنه بعد ذلك كله للملء بما يتذوق .. ويفهم

ولعل مثل هذه الأحاديث مفاتيح لذلك الخير ..

أصبح الخولي

«لوا في دينكم الإسلام... وأقول

« الصوم لفت للبشرية الى فطرتها
لكيلا تظنى »

« وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » . .

أريد وصل هذه العبادة بأهداف الإسلام الاجتماعية البعيدة ، وتدييره
الأكبر للحياة ، ولو كان ذلك الوصل ، من طريق غير الذي ألف الناس
تكراره وترديده.. ولا بدع في ذلك ما دام ملتصق ليس إلا من هدى
القرآن الكريم ، ووحى نظمه البليغ . .

تحدث المتحدثون عن حكمة هذا الصوم ، فدار ما قالوه في ذلك
على أوجه .

منها : أنه تخلق بخلق من أخلاق الله تعالى ، وهو الصمدية ، على
أن معنى الصمد ، الذي لا يطم ، فالصمد من الرجال الذي لا يعطش
ولا يجوع في الحرب^(١) .

(١) لسان العرب . مادة س . م . د

ثم في الصوم كذلك التشبه - قدر الإمكان - بالملائكة المقربين بالكف عن الشهوات والخلو منها ، كما أن الملائكة منزهون عن الشهوات جميعا . . ومن حكمته أيضاً أنه قهر للنفس ، وكسر للشهوة ؛ لأن النفس إذا ما شبت طلبت الشهوة ، وإذا ما جاءت امتنعت عنها .

كما ذكروا من الحكمة أنه وسيلة للتقوى ، لأن النفس إذا ما انقادت للامتناع عن الحلال طمعاً في رضا الله وخوفاً من عقابه ، فأولى لها أن تفقد للامتناع عن المحرمات .

ثم من الحكمة كما قالوا أيضاً ، اقتضاؤه الرحمة والعطف على المساكين ، فمن ذاق ألم الجوع بعض الوقت تذكر به من يذوقه في أكثر أوقاته .

ومن الحكمة كذلك : أن الصوم وسيلة إلى شكر النعمة ، إذ هو كف عن أشياء تعد من أجل النعم وأعلاها ، فالامتناع عنها زمناً ما يعرف بقدرها لأن النعم مجهولة ، فتي فقدت عرفت ، فتحمل معرفة قيمتها على قضاء حق شكرها^(١) .

ومن تلك الفواحي وأشباهاها من الحكم ، وصلوا الصوم بأغراض الإسلام العليا في تدبير الحياة كما بدا لهم ذلك . وعلى ما فهموه منه .

أبهرها العقول المفكرة . . إن التأمل في هذه الحكم . ليلح فيها

(١) أبحاث حكمة التشريع في كتب الفقه بأكثر عباراتها ، مع تفسير طفيف جداً .

أتجاهين متضادين . . فيدنا يستشف فيها نفحات فلسفية ، ويستمتع لنفحات زاهدة أجنبية ، إذا به يشهد نزعة مادية استمتاعية .

فأما الأولى ففي التعلق بأخلاق الله والتشبه بالملائكة ، مما يسمع من المتفلسفين في بيان معنى الخير والفضيلة ، منذ زمن قديم ، وإلى جانب ذلك رياضة النفس وقهرها بالجوع ، وكسرها بالحرمان ، مما ألف في الرياضات الهندية وأشباهها منذ بعيد أيضا ، وتلك كلها اتجاهات تجريدية روحية . ويجاورها فيما سمعتم من الحكم ، أن ما يكف عنه الصائم من المطاعم والمشارب والمشتهيات إنما هو من أجل النعم وأعلها يحتاج الإنسان إلى أن يعرف قدرها ، ويؤدى شكرها . وهكذا يكون الناس في النظر إلى تلك الحكم والاعتناع بها صنوفا مختلفة وميولا متغايرة . . على أنه مهما تصح تلك الحكم وتفتح من تقنعه ، ومهما تشتمل تلك الحكم على نظرات متخالفة أو متغايرة فليس هناك ما يمنع من النظر في جديد من الحكمة وراء ما قيل . . فهل لمستعمي الكرام إلى رحلة فكرية رمضانة نلتمس فيها شيئا من الحكمة يهدى إليه القرآن . . .

أيها العقول المفكرة . . ما أخرج هذه الرحلة إلى قبس من ضياء البصيرة لا يضيره تكائف ظلمات هذه الأيام ؟ وعلى ضوء هذا القبس المنير، نطوف في أرجاء السكز السماوى من هذا الكتاب الكريم، لنذكر طرفا من حكمته في هذه العبادة . . وإنا قبسنا هذا الهادى هو نظرة القرآن

للإنسان وبشريته في حياته على هذه الارض .
واتمد تمددت إليكم غير مرة ، عن ذلك الإصرار العنيد الذي يظهره
القرآن ، في الاستمسك ببشرية الرسل الكرمين ، وأنهم بشر مثل سائر
البشر ، ومن الحق الذي يجب الجهر به في قوة ، أن القرآن حينما يستمسك
ببشرية الرسل ، هذا الاستمسك ، إنما يقف وقوفاً حاسماً في تاريخ الحياة
والحضارة ، من نواح مختلفة . . فهذا الأصل يقف القرآن موقفاً فاصلاً في
تاريخ الأديان ويبدأ بهذه الفكرة عصرراً متميزاً في تاريخ التدين الإنساني .
ويقف القرآن بفكرته في بشرية الرسل ، موقفاً فاصلاً في تاريخ
الحياة العقلية للإنسان .

ويقف القرآن بفكرته في بشرية الرسل ، موقفاً فاصلاً في تاريخ
الحرية الاجتماعية والسياسية ، ويبدأ بهذه الفكرة عصرراً جديداً في تاريخ
الجهاد الإنساني من أجل هذه الحرية .

كما يقف القرآن بفكرته في بشرية الرسل ، موقفاً حاسماً في تاريخ الحرية
الفكرية بخاصة ، ويبدأ بهذه الفكرة عصرراً خاصاً في تاريخ جهاد
الإنسان من أجل تحرير العقل والتفكير ، ولئن كان بيان هذا ومثله مما لا يحمله
الأثير ، ولا تنهص به الثقافة الخفيفة فإن لبيانه الحق موضعه الفسيح
في أبحاث تلك المناحي الخطيرة ، من تاريخ الحياة العقلية ، والاجتماعية ،
والسياسية والحرية الفكرية ؛ وحسبنا هنا أن نقول :

إن هذا القبس الوضاء ، من رأى القرآن فى البشرية ، وإلزام الإنسان حدودها على الأرض حتى لا يتجاوزها إلا بقدر وعمل .. هذا القبس يفيض نوراً نفاذاً ، بين يدي من يريد فهم القرآن وإدراك تدبيره للدينيا ، ورياضته للخلائق ، فى هذا العالم .

أيتها العقول المفكرة . . على هدى هذا النور ، أريد لأفهم القرآن ، مقدر أن ما عرف الناس ويعرفون ، من نواميس الحياة النفسية لهؤلاء البشر، هو المرشد الأول لهذا الفهم ، وهو العدة التى لا يستطيع الوصول بدونها إلى حقائق من معانيه يطمأن إليها . . .

وكذلك نحاول النظر فى حكمة عبادة الصوم ، بإرشاد المعارف النفسية ، وما تقرره عن اتجاه النفس ، وانتباهها إلى هذه الرغبات التى يأخذ الصائم نفسه بالكف عنها ، والحرمات منها بياض نهاره .

والمفهمون للنفس يقولون : إن انتباه الإنسان لما حوله ، واتجاهه إليه ، يكون انتباهاً مباشراً ، واضحاً قوياً ، إذا ما كانت الأشياء المنتبه إليها مما له فائدة ذاتية فى حياته ، وأثر فى إرضاء نزعاته الغريزية ، ودفع لحاجاته الفطرية مهما تكن تلك الفائدة ، وذلك الأثر ، يسيراً أو حقيراً ، ومن هنا نرى أن الأكل ، وهو من أهم سرهيات غريزته ، وبه تندفع حاجته الماسة ، يكون الانتباه إليه انتباهاً مباشراً واضحاً . . فاذا مارا عينا إلى جانب هذا أن النفس تزداد انتباهاً إلى ما تتمم منه ، وما يحال بينها

و بينه من رغباتها ؛ وفي هذا يقول القائلون ، كل ممنوع متبرع ، وأحب شيء إلى الإنسان مامنع . بل لقد سمعنا ، قول المتحدّثين في حكمة التشريع : إنه بالامتناع زماناً عن هذه الأشياء التي يمتنع عنها الصائم ، يعرف قدرها لأنها متى فقدت عرفت .

وعلى هذا فالأثر النفسى ، الذى لا ينكره : أن فى الصوم انتباهاً إلى حاجة المرء للطعام والشراب وما إلى ذلك . . . ظاهرة تجدها فى حديث الصائمين ، إذا ما تبسطوا فى القول بغير كلفة ، وفى نسيانهم حين تسبق أيديهم إلى المطعم والمشروب ، فى غير تذكّر للنية المبيته ، وفى احتفالهم بموائدهم فى رمضان يحبون لها مختلف الألوان فى طرفى النهار . . . واذن فقيم قصد المشرع إلى هذا الصوم الذى ينبه إلى الطعام والشراب ، وحاجة الإنسان إلى ذلك ؟؟

أبهرها القلوب المؤمنة : أريد لأتمس الجواب عن هذا من صنيع آن نفسه ، حينما يتحدث عن أكل الطعام ؛ لنعرف من وحدة سياقه الثابتة من مدار استعماله المكرر ، لأى شيء جعل أكل الطعام علامة ؟ وفى أى وضع توخى أن يعبر به ؟ لعلنا بذلك نعرف ماذا وراء إثارة انتباه الإنسان ، الطعام ، وحاجته إليه من غرض ؟ .

وسنرى القرآن حين يذكر إنكار المنكرين من الناس لبشرية الرسل ، أكل الطعام مظهر تلك البشرية ، ويفعل ذلك أكثر من مرة . فيقول

في عبارة المفكرين : « وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولِ يَا كُلُّ الطَّعَامِ وَيَمْسِي فِي الْأَسْوَاقِ ». فهم في معرض الاستهانة بالرسول (ص) والتصغير لشأنه ، والسخرية من تسميته رسولا ، يقولون ما لهذا الرسول ! كأنهم قالوا : ما لهذا الزاعم أنه رسول ، إن صح أنه رسول الله فما باله ، حاله مثل حالنا ، يأكل الطعام كما نأكل ، ويتردد في الأسواق لطالب المعاش كما نتردد ؟ فجعلوا أكل الطعام كالسعى على المعاش مظهرا للحاجة ، وأثرا للبشرية .

ونراه أيضاً حينما حاجهم بعد ذلك يصر على البشرية فيعبر عنها بهذه اللوازم، ويقول: «وما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِلَّا أَنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً، أَنْتَضَبِرُونَ؟ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا » أى وما أرسلنا قبلك من المرسلين ، إلا آكلين الطعام ، وماشين في الأسواق .

ويرى المتصل بالكتاب الكريم ، وحدة هذا السباق القرآني الثابتة حين تسمعه في مقام آخر ، يسجل بشرية هؤلاء الرسل ، فيذكر أكل الطعام أيضا ، ويقول: « وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا ، لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ، وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ » . وهكذا يظل يحمل أكل الطعام مظهر البشرية لأنه ما جعل الأنبياء عليهم السلام ، قبيلا محمد غير ذوى جسد ، غير آكلين الطعام ويحلى لك هذه الوحدة المطردة في استعماله ، أن تسمعه بعد أكل

الطعام مادة هذه البشرية ودليلها في مقام آخر ، ونزاع آخر ، وهو النزاع على ألوهية مدعاة ، قد أنكرها فايد الإنكار بأن المدعى لهم ذلك يأكلون الطعام ، فقال : « مَا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِبَابِ كَلَانَ الطَّعَامِ ، أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ، ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ » . . فصرح ببعدها عما نسب إليهما بقوله : « كَأَنَّا بِبَابِ كَلَانَ الطَّعَامِ » لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام لم يكن لإجساما^(١) .

وهكذا يعد القرآن دائماً كل الطعام آية هذه البشرية المحتاجة على حين يعد الإطعام مظهر الألوهية ، وصورة الانعام ، يكرر ذلك سراً فيقول على لسان إبراهيم (ص) في وصف إلهه ، « وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ » ويقول في إنعامه على قريش ، « الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » . ويميز فرق ما بين الألوهية مقابلة بالبشرية فيقول : « وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمَ » ، ويبكت العباد قائلاً : « مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُصْعِقُونِ » .

أبشراً الفلوب المؤمن . إذا كانت هذه دلالة الاستعمال القرآني لأكل الطعام على البشرية وحاجتها ، فهل يكون تشريع الصوم إثارة للانتباه

(١) الزنناشيري : بعض عباراته في الكشف ١ : ٤٢٩ .

إلى ما يحتاج إليه هؤلاء البشر، تذكر لهم بهذه البشرية المحتاجة ، ولهذا
إثارة في نفس صائم رمضان ، كما أن له في نفس الوقت أثره في اخزاء
المفطر في رمضان لغير عذر، إذ يعلن عن صفة الضعف في بشريته ، ويسجل
سمة الحاجة في كيانه ا

هل القرآن كما ترفع في مثاليته المتسامية ففتح للبشرية آفاق السماء
لتتلقى الوحي ، في أشخاص الأنبياء ، وحين هيا للبشرية من منازل الكمال
أسمى ما تستطيعه حين ترتقي، هو الذي عمد في واقعيته العملية إلى أخذ هذه
البشرية بالصوم لتنتبه انتباهها قويا لما تحتاجه ، فتشعر شعورا واضحا
باحتياجها الأصيلة ، فلا تعدى طورها ، ولا تتجاوز بالغرور قدرها !! .

أحسب أن ذلك، من حكمة تشريع الصوم ، معنى غير بعيد ، يؤيده
واقع نفسى ، ويدل عليه هدى قرآنى ، ويؤنس به سياق متحد ،
واستعمال مطرد .

أيها المؤمنون . إن الطغيان في كل حال من أحواله تجاوز للمقدار ،
واستعلاء مستكبر ، يعتز بضرب من القوة ، يدهيه الطاغية . ويطرد في
حال الطغاة ما يطرد من دهاوى روحية يدعوها ، يموهون بها على الجماهير
ويغتصبون بها الإجلال والتقدير ، تخفين ظواهر بشريتهم ؟ محجبين ضعفها
باحتياجها ، وقد حارب القرآن هذه الدعاوى في عقول الناس وأعمالهم ،

واليوم أشعر بالرغبة القوية في وصل عبادة الصوم ، بهذا الهدف القرآني الكريم في مقاومة الطغيان . وقد سمعتم أن هذا الصوم تشريع يثير الانتباه إلى حاجة البشرية ، فيسجل ظاهرة الاحتياج على أولئك الآدميين ، فهو تشريع يقطع من العام شهرا ، يدفع فيه الطغاة المتكبرين ، والدعاة الخدوعين ، إلى الشعور القوي ، والانتباه الحقيقي لبشريتهم وحاجتها . ويكشف عن ذلك فيهم للناس كسفا ، يردهم جميعا إلى حدودهم . ويلزمهم طورهم »

فالصوم رياضة تنبيهية تكبت غوائل الطغيان إذ تشعر بحقيقة الآدمية ، وتصد الطاغية عن الاستكبار ، إذا ما أحس بضراعة الاحتياج .. وكل فرد مهما يكن مركزه معرض في بيئته للون من الطغيان يتجاوز فيه قدره ، نوعا من المجاوزة ، فإذا ما رده الصوم بتنبيهه المكرر إلى حاجة الإنسان إلى أكل الطعام عاد بالصوم إنسانا سويا ، قد عرف قدر نفسه .. فهي رياضة عامة متكررة تستأصل سببا بعيدا من أسباب الطغيان ، هو تجاوز حد البشرية الطاعمة الشاربة .

إنها يقظة نبه إليها حلول رمضان ، ورغبة في وصل الصوم بكرم الأهداف ، التي يدفع القرآن إليها الدنيا ، وبوسيلة من وسائل القرآن في مقاومة الطغيان ، بأعم المعاني ، وفي أوسع الدوائر . فانتبهوا .. أيها الصائمون . انتبهوا بصومكم ، إلى أنفسكم تمتدوا ، ولا تظفوا .. طال انبهاكم إلى هدى القرآن .
وسلام الله عليكم ورحمته .

في رمضان

« معى حى لنزول القرآن فى رمضان »

سلام الله عليكم ورحمته . . « يُرِيدُ اللهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ » .

أحسبكم قد حدثتم عن الصوم غير قليل ، فأرجو ألا يكون قد أمسككم من ذلك شيء ، وآمل أن يكون لكم فى الصوم نفسه عزيمة ، وإرادة لا ينالها فى سبيل الخير وهن .

من هدى القرآن نظرتة إلى هذه الإنسانية على الأرض ، وفكرته فى تقديرها ، ومن دأب القرآن ، أنه يعتبر أكل الطعام آية البشرية ، وعلامة الحاجة فكأنما الصوم تذ كبير متصل بمادية الكيان ، وضراعة الاحتياج رجاء أن يرد ذلك هؤلاء الأدميين إلى حدودهم لا يعدون أطوارهم . . كأنما الصوم ، لون من التدبير ، يأخذ الناس بواقعية عملية ، تقابل نواحي أخرى تهيبهم لما ينهضون إليه من مثالية متسامية . . وتلك الفكرة فى حكمة هاتيك العبادة رأى بين الآراء الأخرى المرددة ، وأحسب إلينا ألا يقنع التفكير الإنسانى من هذه الحكم بغاية يقف عندها ، أو يكتفى بها .

أيرها المؤمنون . . إن نظرة القرآن لهذه البشرية منذ أصر على إثباتها للرسول ، نظرة لها أثر دينى ، وفلسفى ، واجتماعى ، بعيد . . حتى إنه ليشتمز

بهذا في تاريخ التدين، والتفلسف، والتحرر الإنساني، تميزاً فريداً، ولكنى حين ألتزم الإجمال في هذه النواحي، وأتركها لمكانها من الدرس والبيان لا أرضى بهذا الإجمال في ناحية أخرى، هي ما لهذه الفكرة القرآنية عن البشرية، من الصلة بالأسس الكبرى، والأصول الإسلامية البصيدة، ولهذا أتحدث إليكم عما لهذه الفكرة من ارتباط وثيق بأصول الحياة الدينية في نظر القرآن وكيف تقرر؟ وكيف ينظر إليها وتفهم!

* * *

أيتها العقول المفكرة... إذا أصر القرآن - في تكرار - على أن الرسل عليهم السلام، إنما هم بشر، مثل البشر وإذا كان يهذى إلى أن الصوم رد لهذا الناس، إلى آدميتهم، فإن لهذا وشبهه، دلالة بعيدة المدى على أغراض ومرامي سامية، قصد إليها القرآن، بهذا التقرير وذلك الهدى. وإن الفكر المتمغن، يشعر أن هذا الصنيع من القرآن، إنما هو رفع للناس، إلى فهم هذه الحياة، في أفق من الوضوح المحدد، وعلى أساس من الضبط الجلي الدقيق... نعم فإن المتأمل المتبصر ليدرك أنه بهذا يضع الحياة الدينية على أساس من قابلية الفهم، وتناول العقل. لا تسوده غيابات الإبهام الروحي، ولا تزعزعه أوهام الغيبيات التي تلف الحقيقة بكتيف من الضباب، لا تنفذ فيه نظرات الذهن مهما تطل التحديق... وتغمرها بفروض

واحتمالات مسرفة في الامادية ، معتمدة على قوى مجهولة . ومؤثرات
غير مستبينة .

ايها العقول المتحررة . . ليس منك من لا يذكر أنه باسم العجائب
والخارقات ، قد انتهكت حرمة النواميس وثبات النظم ، واطراد السنين .
وباسم الروحانية المتطرفة ، قد أيدت مزاعم ، واستلبت حقوق ،
واغتصبت مزايا كواذب ، وروجت حماقات . .

ومن الإرهاب بالأرواح الشريرة والشياطين العابثة ، قد روعت
نفوس ، وهتكت حجب ، وطوردت عقول .

وباسم السحر وتسخير القوى الخفية ، قد زعزعت قلوب ، وأقلقت
خواطر ، وهدمت أسر وجماعات .

ومن كل هذه العوامل ، التي راجت في البيئات الدينية والأجواء
الاعتقادية ، بهوى وغرض ، لاستغلال واحتيال ، قد حوربت حرية الفكر
وسلبت سلطة العقل . . فلا مرية في أن أشعر بالصلة الوثيقة بين تقدير
القرآن للبشرية ، وبين خطته في مطاردة هاتيك الأوهام جميعاً ، واستملائه
على تلك المفاصد بأسرها !! . .

نعم . . فلإني لأشعر ، بأن رده الرسل إلى البشرية ، وأخذها المكلفين

برياضة من الصوم ، تستهلك جزءاً من اثني عشر جزءاً من حياة أولئك المكلفين ، يدركون فيها آدميتهم ، كل هذا متصل بالأساس ، الذي يرى القرآن أن يقام عليه فهم هذه الحياة ، وإدراك معنى التدين .

نعم .. أدرك بوضوح أن ما للقرآن من هذه النظرة إلى الإنسانية ، يتصل بما قصد إليه من العدول عن المعجزات التي تلهي الأبصار ، وتخبر الحواس ، وتدهش للشاعر ، إلى اختصاص العقل بالخطاب ، وجعل حجته بهذا القرآن ، في قوة الكلام ، وصحة الدليل ، وسلطان الحجة^(١) من كتاب أحسكت آياته لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

نعم ، أدرك في وضوح أن تقدير القرآن للآدمية يتصل بما قصد إليه من رد الناس ، عن الهيام بغيوب الروحية ، والبحث عنها حين قال :
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ..

وأدرك بوضوح ، أن هذه الفكرة القرآنية تتصل بما قصد إليه من هدم سيطرة الأرواح الشريرة والشياطين وما إلى ذلك ، بإسدال ستار كثيف ، يوجب الناس عن دعاوى رؤيتهم ، إذ يقول عن الشيطان ، إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ .

(١) الأستاذ الامام — رسالة التوحيد ص ١٤٣ ط السابعة بتصرف .

وإذ ينبغي أن يكون له سلطان على عباده بقوله : « إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ » .

وفي الحق أن أدرك بوضوح أن هذه المكورة عن البشرية تتصل بما يشير إليه القرآن من عد السحر تحميلاً في مثل قوله : يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْمَعُ . ومن الصواب أن أدرك في جلاء وقرب أن تقدير القرآن للإنسانية الناس يتصل أقوى اتصال باخضاعه الأشياء لفهم العقل وتدييره ، حينما تراه ، لا يسوق آياته ؛ الالفاظين ، أو للعالمين ، أو للمتفكرين ، أو لمن يفقهون .

كما تراه يكثر من الأمر بالنظر والتدبير والاعتبار والتأمل ، ويعد طاقة البشر معيار الأخذ والمنع . وأساس المسؤولية والتبعية ، لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ » . وهذا الهدى المتأمل تأثر الباحثون منذ القدم ، فاحتكموا إلى العقل ، وقررُوا إخضاع نص القرآن نفسه للعقل . إذ قالوا : « لو تعارضت آية ودليل عقلي ، فإن الدليل العقلي يكون حاكماً^(١) ، وما كانوا يعدل ليمتنعوا عن مثل هذا في إخضاع السنة ، فقالوا : كل خبر يناقض صريح العقل ، بحيث لا تأويل فهو باطل^(٢) ، وما هذا العقل إلا العقل البشري ، والقوة الآدمية الإنسانية ، فهل على من

(١) الآدمي - الإحكام و أصول الأحكام - ٣ : ٢٢٦ .

(٢) ملا على القاريء وابن حجر - شرح النخبة ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

حرج في أن أفهم من هدى هذا القرآن ، أنه إنما يجعل حياة الناس على هذه الأرض بشرية تمدهاقوام ، وتضبطها ملكاتهم دون توهم ، أو تخيل ، أو تزييد ، أو ادعاء !

وهل على من حرج في أن ألمس الصلة بين تدبير القرآن للشعور بهذه البشرية ، في عبادة الصوم وبين مرماء البعيد في جعل هذه البشرية أصلاً لما أقيم عليه التفكير الإسلامي في فهم الحياة ، والتدبير الإسلامي لإصلاح الحياة ، فهماً وإصلاحاً ، مضبوطين محددتين جليتين ، لأههما آدميان عقليان أولاً وأخيراً؟ .. لا حرج إن شاء الله ، فهكذا تتصل عبادة الصوم بأصل جوهرى هو المدار والأساس لفهم الأهداف القرآنية السامية .

أبها الساعرون بروعة القرآنة . . في ضوء هذا البيان ننظر في حديث القرآن عن رمضان إذ يقول: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» . والمفسرون منذ أولهم إلى اليوم يدورون — فيما رأيت — حول أقوال بيمينها مواجهين مشكلة : هي أن القرآن إنما نزل مفرقاً في عشرين سنة ، أو أكثر عند المناسبات ، لا في شهر رمضان فقط ، فتارة يقولون في تفسير هذه الآية : إن القرآن نزل جملة في رمضان أوفى النصف منه ، من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ، فجعل في بيت العزة ، ثم أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض مفرقاً في

الستين .. وعند ما يتبسطون في هذه المروبات قد يعضون إلى القول بأن الكتب السماوية نزلت كلها في رمضان ، ويحددون تواريخ أيامها فيه ، فصحف إبراهيم في أول ليلة ؛ والتوراة لست مضين من رمضان؛ والإنجيل لثلاث عشرة ؛ والقرآن لأربع وعشرين منه ، وتلك وأشباهها روايات لا يوقف عندها .. فإيت للزمان هذه الذاكرة الواعية في أقرب الأحداث! وقد هاجم هذه الروايات من هاجمها ^(١) ومهما يكن من شأنها فليس لها كبير غناء في معنى الآية ، وما كان القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان بزوله من سماء إلى سماء !! حتى يفسر بذلك نزوله في رمضان !!

وحينا يقولون في معنى الآية : نزل القرآن في سائر الشهور ، ولكن جبريل كان يعارض الرسول صلى الله عليه وسلم به ويقابله معه . . . ولكن هل للمقابلة هي النزول ، أو هي عمل بعد النزول؟ .. وهل بسهل تفسير النزول بالمقابلة أو المعارضة أو المدارس ؟ ما أظن .

وطوراً يرون أن شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، معناه أنه أنزل بشأنه قرآن ، أي جاءت عنه في القرآن آية الصيام كما يقال : نزل في شخص ، أو في حادث قرآن؛ أي وردت بشأن ذلك آية من القرآن . . . ولكن هذا ليس مما يمتاز به رمضان ؛ كما أن آية الصيام لا يظهر وصفها

(١) الأستاذ الامام في تفسير المنار ٢ : ١٧٢

خاصة بما ورد بعد ، من هدى وبينات من الهدى والفرقان ، وذلك على ما يستبين هو وصف الفرقان كله .

وقد يفسرون نزول القرآن في رمضان بأنه ابتداء فيه نزوله ، على أن لفظ القرآن يطلق على الكتاب كله ، كما يطلق على بعضه الذي كان به ابتداء النزول ؛ ويقبل هذا الرأي متقدمون من المفسرين ومتأخرون^(١) ويشبهه بعض المتقدمين^(٢) بالتاريخ بمبادئ الدول والملل ، لشرفها وانضباطها .

ولكن هل يثبت أن بدء الوحي ، ونزول أول آية كان في رمضان ؟ وهل هذا البدء معين محدد ، فيشبه بمبادئ الدول والملل في انضباطها ؟ وأين كان هذا التاريخ بذلك البدء ؛ ثم قبل هذا وذاك لم عبر بالنزول عن بدء النزول ، وبأى شيء صرفوه إلى ذلك ؟ وهم يرون أن فائدة وصف الشهر « بإنزال القرآن فيه » هي ، التنبيه على أنه تخصيصه بالصوم فيه^(٣) .. ولكن هذا التخصيص قد كان بمباراة أهمها تفسيرهم لها ، واختلافهم الشديد حولها .

(١) الأستاذ الامام — تفسير ٢ : ١٧١

(٢) النيسابوري على هامش الطبري ط بولاق ٢ : ١٨٣

(٣) النيسابوري ٢ : ١٨٢ وقريب منه ما في المنار ٢ : ١٧١

وهكذا لا تجد من هذه الأقوال التي دار حولها المفسرون جميعاً في فهم آية رمضان هذه ، رأياً ترتاح إليه .

أيها الشعرونه بروعة القرآن : لقد قصروا النزول على المعنى المادى من الانتقال، والهبوط ، والانحدار ، ونحوه . وليس هذا كل معنى الكلمة ، وليس هذا كل ما استعمل فيه القرآن، هذه الكلمة .. لقد استعملها القرآن في حسيات ليس فيها انتقال، ولا هبوط فهو يقول «وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» وليس هابطاً من السماء ، وهو يقول «يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِى سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا» وليس يعنى انحدار هذا من الأعلى إلى الأرض . . بل يلاحظ أنه حين يقصد هذا الانتقال المادى يذكر مبدأه ويصرح به فيقول : أنزل من السماء ماء ؛ أنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً .. أنزل علينا مائدة من السماء . ولم يذكر هذا المبدأ في آية رمضان ونزول القرآن فيه !!

ومن المفروغ منه أن الألفاظ لا تقصر على معناها الحسى أبداً بل تنتقل عنه انتقالات كثيرة إلى إطلاقات معنوية . . وهم أنفسهم قالوا^(١) الإنزال تقریب الشيء ، والهداية إليه ، وإنزال الله نعمه ونعمه على الخلق

(١) الراغب الأصفهاني — مفردات القرآن — مادة « نزل » مع إضافة يسيرة من غيرها .

إعطائهم إياها ، فقيم إذن هذا الوقوف عند معنى النزول المادى من سماء إلى سماء ، أو الوصول إلى الأرض والإبلاغ إلى شخص !

القرآن نعمة وهداية ، تعطى للناس ، وتقرب إليهم ، وتيسر لهم في ظروف ومناسبات مع رياضة خاصة ، أو عبادة خاصة ، فإنزال القرآن في رمضان يمكن أن يكون بتقريبه إلى الناس ، وأنسهم به في شهر رمضان عند ما يرتاضون بالصوم ، ويدركون من الصوم ، ما رأينا من غاية ، تتسق مع الفكرة الجامعة في فهم الدين ، وفهم الحياة .. ففي كل رمضان إذ الناس يشعرون من الصوم بما يشعرون به ، يقرب القرآن إلى نفوسهم ، ويستبينون منه الهدى والبيئات من الهدى ، في تفسير الحياة وتدبير الحياة والقرآن في ذلك فرقان واضح ، يتميز به في تاريخ الإنسانية عصر عن أعصر قبله وهذا معنى الفرق والتميز في كلمة الفرقان الذى فيه منه بينات

على هذا الوجه يفهم أن نزول القرآن في رمضان هو تقريبه والإيناس به فيزيد الاستشفاف لهداه ، وبيئاته .

وإذا كان القرآن قد وصف نفسه كثيراً بأنه هدى ، فإنه هنا قد وصف نفسه بأنه هدى وبيئات من الهدى والفرقان ، وهو وصف لم يرد في القرآن كله إلا هذه المرة ، فالصائمون المرتاضون يدركون من القرآن هدى وأكثر ،

يدركون بينات من الهدى والفرقان . هذا إن تلاوه ليتبينوه، ويستخرجوا
بيناته وفرقانه ، ومن هنا يتدارس القرآن في رمضان ، ويكون ذلك شعاراً
وتقليداً إسلامياً لأنه نعمة وهداية ، تقرب من نفوسهم في شهر رمضان
ومم صيام — هديتم إلى ما في القرآن من هدى وبينات من
الهدى والفرقان .

وسلام الله عليكم ورحمته

١٩٤١ / ١٠ / ١٠

عن فلسفة الجوع

١ - الجوع حكمة الصوم . . عند الفقهاء

٢ - الجوع محور الرياضة . . عند الصوفية

سلام الله عليكم ورحمته . . « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ »

تشهدون الموسم الرياضى السنوى ، فى رمضان ؛ وهو موسم رياضى ، أحسبه لونا من التدريب الإصلاحى ، يحنده المسلمون جميعا . فاذا ما كانت الأمم اليقظة اليوم ، تلزم أبناءها الصالحين ، فى كل عام ، ضربا من التدريب الجندى مدة معينة . يتركون فيها أعمالهم المعتادة ، من فنية وعلمية ، وعملية . . ويأوون طول هذه المدة إلى مواطن خاصة ، يؤخذون فيها بصنوف من النظم الجادة الحازمة ، والأعمال الناشطة ، فما أشبه هذا الموسم الصومى ، بأن يكون ، لونا من التدريب الرياضى ، يؤخذ فيه المكلفون ، من أمة القرآن جميعا ، رجالا ونساء ، بنظام حياة ، رزينة ، فيها صلابة ، وفيها عزم . . وإذا ما كانت الأمم اليقظة اليوم ، انما تدرب أبناءها ، إعداداً ليوم ، تحتاج فيه ، إلى جلادة فيهم وصلابة ، يلقون بها أزمات ، تمتحن فيها حيويتهم ، ويفدون فيها جماعتهم . . فعمل هذا التدريب النفسى ،

أن يعدكم لشيء ، مما يحتاج إليه شرقكم ، في إثبات وجوده ، وإحياء مجده
وما أشد حاجته ، إلى ذلك كله .

وإذا ما كانت مواسم التدريب في الأمم انتقالات ، يغير خطط
الحياة والعمل ، فوسمكم الرياضى السنوى ، خليق بأن يدخل غير قليل
من التغيير ، على تدبير حياتكم ، ونظام أعمالكم .

لقد تحدثت عن نظام هذا التدريب الإسلامى طوائف ، من
أصحاب الثقافة الاسلامية فوصف برناجه ، أصحاب الفقه ، فيما درسوه ،
من العبادات . . كما تحدث عن أسرار ومراميه ، أصحاب التصوف ، فيها
وصفوا ، من رياضات ومجاهدات .

وإذا ما كان الفقهاء والصوفية ، قد اختلفوا منذ عصر مبكر ، في أشياء
كثيرة ، فلعلمهم في هذا الحديث عن الصوم ، قد اتفقوا في فهم حقيقته
الأولى وبيان مرماه الهام ، في الشريعة ، وما يؤخذ به المكلفون فيه .
ونريد هنا لنستمع إلى قول الفئتين ، في هذا ، وما اتفقوا عليه بشأنه ، على
ألا نستمع لهم ، في استسلام غافل ، وقبول متساهل ، بل لننظر فيه ،
بمعين ناقدة ، فاحصة ؛ وعلى أساس ، هو : أن هذا القرآن إنما هو
الأصل ، الأول والبيان الأكمل ، فما أيده القرآن ، من مراعى الفقهاء
والصوفية فهو المقبول ؛ وما باعده القرآن وجأه من قولهم ، فهو

المردود ، مهما تتوجه أسماء بارزة ، وتروج له هيئات ذات شهرة سائرة .

ولهذا نلتصم بفهم النظرة القرآنية ، لهذه العبادة ونتتبع حديثه فيها ،
وفيا يتصل بها ، من جوع وأكل ، تنبعا نستبين منه وجهة نظره ، ولباب
رأيه ، ونعرف به الاعتبارات والأغراض التي يرمى إليها ، من هذا كله ..
ثم نعرض قول الفقهاء والصوفية ، على ما تصل إليه من ذلك ؛ فاقرب
من تقدير القرآن ، وصادف اعتباره ، فهو الرأي ، ومالا فلا . . وبهذا
يتضح لنا مدى تمثيلهم للحكمة القرآنية ، واستشفاهم للهدى السنى .

وإنا لندمى بهذا إلى غرضين :

أقربهما ، أن نهتدى من حكمة التدريب الصومى ، إلى شىء أدق وأنفذ ،
سما قيل فيه ، فنغير النعمة المكررة ، فى بيان تلك الحكمة ، وذلك المرمى .
وأبعد هذين الغرضين ، أننا فى الوقت نفسه ، نتدرب ، وندرب أصحاب
التفسير على طريقة فى التدبر والفهم ، تعتمد على التتبع الشامل لقول القرآن
فى الموضوع الواحد ، واستقصاء غرضه فى المرمى الواحد ، على اختلاف تناوله
له ، فى الأزمنة المتباعدة ، والمناسبات المتعددة ؛ إذ أن هذا التتبع والاستقصاء ،
هو الذى يقرب من ذوق القرآن الفنى ، ويثقلنا إلى جوه الأدبى ، حتى
نتهى إلى دقائقه ، ولا نقف عند شرح اللفظة اللغوية ، وذكر المعنى الشائع

للجملة ، والغرض القريب اليسير من التعبير .

وهذه الطريقة في تسميره . قد يكون موسم هذا التدريب الرمضاني ، أصلح أوقاتها ، وخير ظروفها ، إذ يدنوا الصائمون من القرآن ويقرب إليهم القرآن في صومهم ورياضتهم : وينزل إليهم كما فهمنا قريبا من نزول القرآن في رمضان .

* * *

تحدث الفقهاء ، عن الصوم ، فردوه إلى معنى الإمساك والترك للغوى ، وبينوه بأنه ترك الأكل والشرب ، و .. و .. من الصبح إلى المغرب ، بنية من أهله ، فجعلوا قوامه هو الجوع وترك الأكل . ولما ألموا بشيء من حكمته أداروها على الجوع وأثره ؛ بل لم يكتفوا بذكر الجوع في الحكمة ، وإنما جعلوا منه دليلا عقليا على فرضية الصوم ، وكان مما قالوه :

أن في الصوم قهر الطبع ، وكسر الشهوة ، لأن النفس إذا شبعت بحثت عن الشهوات ، وإذا جاعت امتنعت عما تهوى . فكان مدار هذا التدريب عند الفقهاء أصحاب الظواهر ، هو الجوع وما ينشأ عنه .

وأما الصوفية — أو متأخروهم على الأقل — فقد ردوا الصوم أيضا ، إلى هذا الجوع ، وأفاضوا في بيانه ، عند ما تحدثوا عن أسرار الصوم ، ولفتوا النظر ، إلى ما يعرضون له ، من البحث الخاص في فضل الجوع .

عند ما يتعدهون ، عن أثر الجوع ، وضرر الشبع . إذ عدوا الجوع من أوائل العمل ، في رياضة النفس ومجاهدتها ، توصلا إلى كسر شهوتها إلى الطعام وغيره .. وفيما عرضوا له من البيان في الصوم وغيره ، نحس بجلاء ، أنهم قد توسعوا في بحث الجوع توسعا كبيرا ، وفلسفوا القول في نتائجه وطرق الارتياض عليه ، وما إلى ذلك ، فأسفة هي التي قصدتها فيما عنونت «عن فلسفة الجوع»

وإني لأؤثر أن أسمعكم ، في شيء من الأفاضة - بعض ما للمتصوفة ، في فلسفة الجوع ، بعد ما رأينا الفقهاء يتفقون معهم ، على أنه قوام الصوم وحقيقته ؛ لنعرض قول الفريقين ، على ما نحسه من نظرة القرآن إلى الجوع والطعام .

* * *

يفيض القوم ، في بيان شرور شهوة البطن ، إلى أن يبنوا عليها ، كل شرف الحياة الإنسانية ، منذ بدء الخليقة إلى الآن ؛ فشهوة البطن ، هي التي أخرجت آدم وحواء من دار القرار ، إلى دار الدل والافتقار ، إذ نهيا عن الشجرة ، فغلبتهما الشهوة ، حتى أكلتا منها ، فبدت لهما سواتهما .. والدليل على التحقيق عندهم ينبوع الشهوات ، ومنبت الآفات ، إذ تتبعها سبب الخنس ؛ ثم تتبعهما شدة الرغبة ، في الجاه والمال للتوسع بهما ، في إرضاء ما بين الشهوتين .. وتتبع شدة الرغبة ، في الجاه والمال ، أنواع المنافسات والمحاسدات .. ثم تتولد من بينهما ، آفة الرياء ، وغائلة التفاخر ،

والتكاثر، والكبرياء .. ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد، والعداوة،
والبغضاء؛ ثم يفضى ذلك بصاحبه، إلى اقتحام البغى والنكر والفحشاء ..
ومن أجل ذلك، كانت كل شرور الدنيا - في بيانهم - ثمرة إهمال
المعدة، وما يتولد عنها، من خطر الشبع والامتلاء .. فلا عجب إذا ما هتموا
بفضل الجوع، ووقفوا عند دراسته، مقدمين بين يدي ذلك منقولات
فياضة، من قول الرسول - عليه السلام - فهو، في نقلهم، قد قال :

سيد الأعمال الجوع .. وقلة الطعام هي العبادة . ليس من عمل أحب
إلى الله، من جوع وعطش . أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم
جوعاً وتفكيراً .. جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش، فإن الأجر في ذلك،
كأجر المجاهد في سبيل الله - لا يدخل ملكوت السماء، من ملأ بطنه ..
كلوا في أنصاف البطون تدخلوا ملكوت السماء .. أجيئوا أكبادكم،
وأعروا أجسادكم، لعل قلوبكم ترى الله عز وجل .. إن الشيطان ليحرق
من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش .. أديموا قرع
باب الجنة يفتح لكم؛ قيل: كيف نديم قرع باب الجنة؟ قال: بالجوع
والظماً .. إلى غير قليل من مثل هذا الذي ينقله ناقلوهم في فضل الجوع،
وعظيم أجره .

وهل هذا الأساس يتقدمون، فيعدون جوع المجتهدين كرامة، وجوع

الزاهدين حكمة ؛ وجوع الراغبين كذا ، وجوع التائبين كذا ، وجوع الصابرين كيت وكيت .. وعندهم أن إجماعة الله الناس وتعريتهم فضيلة ، يخص الله بها أوليائه ، فيقول قائلهم : إلهي أجمعني ، وأجعت عيالي ، وتركتني بلا مصباح ، في ظلم الليالي ، وإنما تفعل ذلك بأوليائك ، فأبى منزلة نلت هذا منك ؟ .

كما يرون ، أن الإنسان ، إذا ما وسع الله عليه ، ما يلتذ به وبشتميه ، فإمما هو بذلك يتمحسه ويبقله ، فينظر كيف يؤثره ، على ما يهواه ، وكيف يحفظ أوامره وبواهيته .. ثم يتحدثون عن المجاهدين بالجوع ، وطول المدة ، التي استطاعوا أن يعيشوها جائعين ، ويذكرون في ذلك أرقاما قياسية ، على نحو ما يفعل أصحاب الرياضات المختلفة اليوم ويسمون في ذلك أبطالا ، من القدامى والمحدثين ، فوسى عليه السلام ، لما قربه الله نجيا ، قد ترك الأكل أربعين يوما : ثلاثين ثم عشرًا ، على ما ورد في القرآن . والمسيح عليه السلام ، كان يطوى أربعين يوما .. هؤلاء وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى ، وأما أهل الإسلام فيذكرون لهم مددًا مختلفة ، تبدأ من ثلاثة أيام ، وتزايد متصاعدة ، فيسمون فلانًا ، كان يطوى ثلاثة أيام ؛ وفلانًا كان يطوى ستة أيام ، وآخر ، سبعة أيام ، كما أن فلانًا طوى عشرين يوما ، حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوما ، وأربعين يوما لا يأكل ولا يشرب ، ويذكرون في هذا جماعة كثيرى العدد ، بل يرتقى بعض

أهل هذه الطائفة ، الى ستين يوما طاويا . . . وعندهم أن من المعتاد القريب .
أن يطوى المرید يومين الى ثلاثة ؛ وتلك فى المجاهدين درجة ثانية .
وانهم لينقلون ، من قول هؤلاء الجياع ، فى أثر هذا الجوع ، رءا فيه .
من خير وإصلاح أقوالا ، بالغت فى ذلك كثيرا ؛ فيقسم قائمهم ، بالله
تعالى : أن الله ما صافى أحدا ، إلا بالجوع ؛ وآخر يقول : لم ير الأكياس
شيئا ، انفع من الجوع ، للدين والدنيا . . . وقد وضعت الحكمة والعلم فى
الجوع ، ووضعت المعصية والجهل فى الشبع . . . ثم إذا ما عرضوا لدرس
فوائد الجوع ومنافعه ، وآفة الشبع ومضاره ، أشبعوا القول فى هذا كله
إشباعا كبيرا ، وأشرفوا منه على آفاق من البحث فسيحة . ، فتسمع لهم
فيه فوائد صحيحة جسمية ؛ وأخرى عقلية علمية ؛ وغيرها خلقية أدبية ،
ورابعة فنية ذوقية ، وخامسة دينية عبادية ، مما تستقيم به الحياة فى الدنيا
والآخرة ، فى رأيهم .

وقد أبدوا أقوالهم فيها بالمعارف المتصلة بتلك النواحي المختلفة ، ثم
بتجارب خاصة لهم ، تشهد أنهم قد خدموا فلسفة الجوع خدمة نظرية
وعملية ، لا يتسع هذا المقام للإشارة إلى كثير منها . . . وأنهم اتهموا بها إلى
إهانة المتراضين من مجاهديهم ، على تحقيق رغباتهم فى الجوع ، واتقاء آفات
الشبع الخطرة ، فضبطوا لهم ذلك ضبطا كافيا ، إذ وصفوا الجوع الصادق ،
والجوع الكاذب ، وأعراض كل واحد منهما . . . وكما وصفوها وصفا نظريا ،

أرشدوا إلى أشياء عملية تجريبية ، تعرف ذلك كله .. ثم شرحوا تدييرات خاصة للاعتدال في التغذية ، وللتجويد لعلها لا تزال إلى اليوم ، طريفة ، عند من يعانون هذه الأشياء الآن ، ويتصدون لها .. وقد رموا دائما ، من كل هذا ، إلى الغاية الدينية ، في كسر الشهوة ، وإذلال النفس ، وضغط الجسد ، على ما بيننا مقصدهم منه آنفا ؛ وتحذوا عن صنيع رجالهم ، في قتل هذه الشهوة وهزيمتها ، فحكوا في ذلك أشياء ، قد تلتحق بالبعيد المستغرب ، عند من لاعد له بها ، ولا رياضة عليها ..

وإن فلسفة القوم في الجوع ، لم تلبث أن اتصلت بفلسفتهم العامة عن الحياة وغايتها ، فانتهم بهم إلى فكرة خاصة في ذلك ، تلائم مراميمهم السابقة .. فلم يترددوا في تقرير أن الإنسان لا ينبغي له أن يطلب القوة في هذه الحياة ، ولا أن يعدها غاية له ؛ ودينوا رأيهم في ذلك بأسلوب نظري ، لعلهم نسوا فيه الفكرة الإسلامية ، وجانبوا واقع الحياة الإسلامية في عصورها التاريخية المختلفة ..

فاستمع لهم ، إذ يمضون في إثبات أن القوة ليست غاية للحياة فيقولون : إن الله استعبد الخلق بثلاث : بالحياة والعقل والقوة ؛ فإن خاف العبد على اثنين منها ، هي الحياة والعقل ، أكل وأفطر ، ان كان صائما ..
وكلف طلب القوت ان كان فقيرا .. وأما إذا لم يخف على الحياة والعقل ،

وإنما خاف على القوة ، فيبغى الأيالي بذلك . ولو ضعف حتى صلى قاعدا
فصلاته وهو قاعد ، مع ضعف الجوع ، أفضل من صلاته قائما ، مع كثرة
الأكل ؛ وتلك عندهم أرفع الدرجات ، وعادة الصديقين ، يرد فيها
المجاهد نفسه ، إلى القوام ، لا يبغى دونه . وهى اختيار من أعطوهم مرتبة
الإمامة فيهم .

* * *

كذلك سمعتم قول الفقهاء ، فى اعتبار حقيقة الصوم جوعا - ثم رأيتم
الصوفية ، قد توسعوا فى فلسفة الجوع ، ووصلوا ذلك بالغاىة الكبرى من
الحياة ، فأثروا الضعف مع الجوع ، على القوة مع كثرة الأكل ، ولو أثر
ذلك فى العبادة واقامة الصلاة .. وقد ألمنا بأطراف من هذه الفلسفة عن
الجوع ، لمناسبتها هذا الموسم الرياضى التدريجى فى رمضان .. فانظروا فيما
جاءكم من هذه الفلسفة وقول أصحابها ، حتى نلتقى فيما يلى ، فتعرض هذا
كله على ما يمكن إدراكه ، من نظرة القرآن الى الجوع ، والأكل ، حينما
عرض لهما ، وتكلم عنهما ، فنقبل من تلك الفلسفة ما يقبله هدى القرآن
وندرك وجه الصواب ، فى سوى هاتيك الرياضة الصائفة ؟

١٨ / ٩ / ١٩٤٢

عن فلسفة الجوع

- ٢ -

ليس الجوع طابع الصوم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ،
وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا
طَيِّبًا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ .

حدثتكم قبل عن الفقهاء ، وتعريفهم الصوم بالجوع ، وترك الأكل
والشرب . . الخ . . وإدارتهم الشاهد العقلي لفرضية الصوم على فعل الجوع
بالنفس ؛ وردم حكمة الصوم إلى أثر الجوع أيضا ، كما رأينا الصوفية
يفلسفون هذا الجوع فيسببون به كل خير ، كما ينسبون إلى شهوة الطعام
كل شر ؛ ويروون في فضل الجوع ما يروون مما يعدونه حديثا ، ويذكرون ما أثر
العابدين في الصوم ومدته ، ثم ما يلبثون - على ما سمعنا - أن يربطوا فلسفتهم
في الجوع ، بفلسفة عامة في الحياة وغايتها . فيؤثرون ضعف الجوع على قوة
النشيع ، وإن أثر ضعف الجوع في أداء العبادات ذاتها . . !

* * *

وزيد هنا أن نعرض هذه الآراء ، على هدى القرآن ، لئلا نرى إلى أى مدى يؤيدها ، أو يعدها ، أو يرفضها !
والاحتكام إلى الهدى القرآنى فى هذا وغيره ، ورد كل شىء إليه ، هو ما نقبله جميعاً فى غير تردد . فالقرآن هو الحكم الترضى حكومته .. ولا شك .
وسنرى أن القرآن قد تحدث عن الجوع فى غير موضع ، فذكره فى آيات مكية ، وذكره فى آيات أخرى مدنية .. فاستمع إليه حين يقول لقريش :
« فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ، الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » . فيعد نعمتى الإطعام والإيمان ، اللتين خلص بهما قريشا من نعمتى الجوع والخوف .

وهو يمثل هذا يعد نعم الجنة ، دار النعيم المقيم ، والسعادة الكبرى ، فيقول لآدم « إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى » فالجوع والعرى ، والظما ، والضحو ، بالتعرض للشمس وحرها ، كلها آلام يأمن منها من يكون فى الجنة ، وهذا هو ألم الجوع الذى يقدم فى عد الآلام ، التى يؤمن منها الإنسان ، ويذكر قبل سائر الآلام من عرى وظماً وغيرها -

وإذا نعم أهل الجنة بالألأ يجوعوا فقد شقى أهل الجحيم ، فى وصف القرآن بالألأ يجردوا إلا ما لا يشبع ، فقال عنهم « لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ » .. والآية فيما فهم أصحاب العربية تنفى أن

لأهل العذاب طعاماً ماء، لأن الضريع الذي قيل إنه لا طعام لهم سواء ، إنما هو شوك يابس سام ، تحاماه الإبل ، آكلة الشوك بطبعها ، وهذا الضريع لن يكون طعاماً للإنسان ، فالمعنى إذن أنه لا طعام لهم . وفي التعبير على هذا الوجه مبالغة في نفي الطعام ، كما قد يقال : لا ظل لفلان إلا الشمس ، أى أنه يعدم الظل ، و يجد ما ليس إلا ضحوا وشمسا .

وعلى هذا ندرك أن الجوع والحرامان من الطعام لون من العذاب القاسى ، فى تعبير القرآن الأدبى ، وحسبه الفنى ، الذى نفعز إليه ، كما اتفقنا ، لمعرفة نظرة القرآن ، إلى الجوع .

* * *

ونمضى فى فهم نظرة القرآن للجوع فإذا هو يعده نعمة غاضبة ، وعقوبة اجتماعية للذين يكفرون بالنعم ، فى قوله « وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ؛ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » .

وأصحاب الشعور الفنى يدق إدراكهم للتعبير عن ألم الجوع بقوله . فأذاقها الله لباس الجوع ، فإن الإذاقة وهى وجدان الطعم ، قد استعملت ههنا مع اللباس لما جرت الإذاقة مجرى الحقيقة ، وشاعت فى البلايا ، والشدائد ، وما يمس الناس منها ، فقيل ذاق البؤس ، والضر ، وأذاقه العذاب ؛ وكان اللباس ، بمعنى الاشمال والإحاطة . فالمعنى إنهم ذاقوا الألم الشامل المحيط ، وكان

التعبير على هذا الأسلوب قويا عنيفا في تصوير ألم الجوع . وكان تعبيراً لم يتكرر في القرآن؛ وخص به ذلك المقام من الحديث عن الجوع وقسوة وقمه .

ولو قدر المتذوق لأسلوب الكتاب المعجز ، عطف الخوف على الجوع ، في غير موطن ، لشعر أن ألم هذا الجوع يهز النفس هز الخوف ، ويضيع الأمانة والراحة النفسية ، التي هي قوام الشعور بالحياة والاستقرار فيها .

وقسوة هذا الجوع وهنقه تتمثل جليلة ، في عد القران إياه وسيلة للابتلاء الكاشف عن مدى طاقة الصبر ، وقوة المقاومة في الذي يبتلى به ، وكذلك يقول الكتاب الحكيم « **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُرْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** » فالجوع مما يبتلى بشيء منه الناس ، ليستبين ما فيهم من قوة احتمال .

واقدر نذكر ما قاله بعض المفسرين من أن الابتلاء بالجوع هو الصوم المفروض ؛ والابتلاء بنقص الأموال والثمرات هو الزكاة المفروضة ، ولكن .. أحقما يرجح النظم القرآني ، والنسق القرآني هذا الفهم ؟ .

وهل يقدم الخوف المروع على الجوع الذي هو جوع الصوم ، ويتجه النسق القرآني إلى وضع فريضة الصوم في هذا الإطار غير الخيب !

وحقا يوضع فرض الزكاة مع نقص الأنفس الفاجع ، وتضفي على الفريضة

تلك الظلال القائمة من نقص الأنفس وما يعادها من المال ! ! ليس ذلك مما يتلقاه الذوق الفنى القرآنى بقبول .

* * *

ولعلنا نستطيع أن نقول بمد الذى أنسنا إليه من هدى القرآن : إن ما اتجه إليه القوم من تلمس الآثار فى فضل الجوع ، وفلسفتهم لذلك الجوع على ما سمعناها مهم ليس مما يرحب به هدى القرآن كثيراً . وإن الروح الحيوية التى امتاز بها الإسلام ، وقررها كتابه الكريم لا تهش كثيراً لما أطال به الصوفية من اعتبار الجوع سيد الأعمال ، وأنه أفضل العبادة أو مخ العبادة ، وأن ترحيبهم بما ينتهى إليه الجوع من الضعف حتى عن أداء العبادة المفرضة كالصلاة ليس مما يأتلف كثيراً مع هذه الروح الجادة النشطة ، التى يحرص عليها الإسلام ، ويعتمد عليها فى اقامة أهله الدنيا وحياتهم فيها . وإنما هى روح دخيلة على الإسلام ، مما خالطه من فسكر غريبة عنه ، هندية أو غيرها ، نعرف إسرافها فى تعذيب الجسم وإجهاده ؛ وقد عرف أن هذا التصوف قد تأثر بكثير من مثل هذه الآراء ، وغيرها من الأفكار النظرية والعملية ، التى امتدت فى الميدان الصوفى ، إلى حد المساس بأهميات العقائد والأصول ، وجرى حولها الخلاف الطويل العريض ؛ وثارَت بها مشكلات فى حيا الصوفية ؛ واتهم من أجلها كبار منهم بما انتهى إلى قتلهم . . على ما عرف التاريخ من ذلك .

وأحسب أنهم في مثل هذا الجوع قد أكثروا من القول في الجوع ، وأن أفضل الناس أطولهم أيام جوع . وأن الشبع يمنع من دخول اللسكوت وأن الإجاعة والعري تجعل القلب يرى الله . . وأن إدامة قرع باب الجنة إنما هي بالجوع والعطش . وأن تضيق مجارى الشيطان من ابن آدم إنما يكون بالجوع والعطش . إلخ ما أوردنا أمثاله في الفصل الأول من هذا الحديث عن فلسفة الجوع ، وهو ما لانظمئن النفس إليه بعد الذى رأينا من عرض القرآن للجوع هذا العرض الذى تصوره آياته المختلفة ، فى المناسبات المختلفة . . وما كان القرآن ليخرجه هذا الإخراج ، وهو يقدره بعض هذا التقدير ، الذى يسرف فيه الصوفية ، ولا يهمله الفقهاء . وفى آداء القران للمعجز توجيهه نفسى كبير ، لا يفهم الاسلام إلا باستجلائه .

وليس بكثير أن نقول : إن نظرية القوم فى الجوع ليست ذات أساس سليم ، وهى غريبة عن الروح الإسلامية . بل إنها ليست فى شىء من روح القرآن فى مثل قوله : «وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ، ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ، وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ » . وما عرف فى توجيهه القرآن من الأمر بإعداد القوة بقوله : «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ، وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُّوا اللَّهَ وَعَدُوَّهُمْ .» . وإلى جانب ذلك القرآن ما لا بد أن يكون معه ، بيان له وتأيداً ،

من الحديث والأثر ، الذى لا يلتقى مع شىء مما رددوه من إثبات الضعف ،
والعزلة ، ونسيان نصيبهم من الدنيا ، وتفضيل الجوع بضعفه المتعمد .
على ما يروونه مما لا ينجون من نقد الناقدين القدامى أنفسهم .

* * *

وإذا اطمأننا إلى هدى القرآن ، عن هذا الجوع ، وحكمه على فلسفتهم ،
فإننا نقول فى تقدير عمل الفقهاء وعمل المتحدثين أمس واليوم ، عن الصوم ،
وحكمته : إن الوقوف فى ذلك كله عند ترك الأكل والشرب ؛ وإن عد
الجوع ، أساساً للصوم وجوهراً فيه ؛ وإن رد الفضل فيه والتعبد به إلى
الجوع . كل ذلك وما يدور حوله ليس من الفقه الصحيح لجوهر تلك العبادة
وفرض تلك الفريضة . وإن ذلك إنما هو تتبع لليسير أو التافه ، من عناصر
تلك العبادة ، لأن فيها ما هو أدق وأحكم من هذا الظاهر اليسير ، الذى
يتعلل الناس فيه بالضعف أو العجز ، أو الجهد ، ولو قدمت إليهم الفريضة ،
تعريفاً وتعليماً ، أو حكمة وإقناعاً ، فى أفق اسمى من ذلك وأكرم لكان
التعلل بمثل هذه الظواهر أخفت صوتاً ، وأيسر خطراً .

وهؤلاء الصوفية - على ما نخالقهم فيه من فلسفة الجوع - قد حدثوا
عن صوم القلب ، عن الهمم الدينية ، وعن صوم السمع والبصر ، واللسان
عن تعدى الحدود ، وعن صوم اليد والرجل ، عن البطش والسعى إلى المنهى
عنه . الخ من تلك المرامي السكرية ، التى يرى الإسلام قد سما إليها ،

ولفت لها هديه القيم ، حين يقرن غير الجسم من أفعال الجوارح الخارجية بالمادى الجسم ، من تلك الأفعال ، فيقول : « لَوْلَا يَتَاهُمُ الرَّبَّائِيُونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِيمُ وَأَكَلِهِمُ السُّحْتِ لَيْتَسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » . . . ويدل بذلك على أن في المقولات والمسموعات ما يحرم على المستمع والقائل ، مثل تحريم أكل السحت ، ومن هنا يضع القول الآثم إلى جانب أكل السحت ، ويضع سماع الكذب إلى جانب أكل السحت . ويقول : « سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلْسُّحْتِ » .

* * *

وليت الفقهاء قد اتجهوا نوعا ما إلى مثل هذا الاتجاه في الصوم ، ولم يقفوه عند الأكل والشرب ، والشبهوات الجسمة ، بل وضعوا إلى جانبها في الحرمة الأثام المختلفة ، كما رأينا في صنيع القرآن ، حين جعل آفة اللسان في قول الإثم ، وآفة الأذن في سماع الكذب كالأكل الطاجن المزرد للسحت . وما كانوا بذلك يجاوزون الضبط الظاهر للأفعال كدأبهم ، ولا يلتفتون بالصوفية ، في حقائقهم الجنوية ، بل كان الفقهاء بذلك مهتدين بصريح هدى القرآن في هذا السبيل ، ومنهجه في التسوية بين أخطاء الجوارح المختلفة .

ولقد كانوا واجدين ذلك في استعمال القرن نفسه للصوم في الإمساك عن الكلام ، حين يقول على لسان مريم : « إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّبِّ صَوْمًا

صَوْمًا فَلَنْ أَكَلَّمَ الْيَوْمَ إِنْ سِيًّا » ، فجعل الصوم إمساكا عن الكلام ،
فليس من البعيد مع هذا أن يتسع أفق الفقهاء فلا يجعلوا الصوم إمساكا عن
الطعام والشراب وما إليهما من الجسميات ؛ دون التفات إلى غير ذلك من
آثام الجوارح الأخرى .

ولو قد أقصرنا في هذا ، ولم نلتمس عند الفقهاء ما رجونا من تنظيم
عمل كافة الجوارح بالصوم لبقى ما لم نطمئن إليه ، من قصر عنايتهم على
الأكل واهتمامهم بالجوع ، ذلك الاهتمام الذي يتكامل مع إسراف الصوفية
في الاهتمام الأكبر بذلك الجوع أيضاً .

* * *

على أننا لو لم نعتصم بالحس القرآني ، وهدية الفنى المرهف في الجوع ،
وتركنا الفقهاء يجعلون الصوم أول ما يجعلونه إمساكا عن الأكل والشرب
وتركنا الصوفية يكبرون أمر الجوع هذا الإكبار المسرف ، فإننا سنرى
أن جوع الصوم ليس بشيء ، ولا هو في درجة من الأهمية ، التي أشاد
الفقهاء بها في حكمة الصوم ، أو أكبر الصوفية شأنها في الرياضة .. لأن جوع
رمضان هذا قد يكون جوع اثنتي عشرة ساعة ، في يوم شات قصير ، وهو
أمر هين ، لأحسب أن سيتحقق به الكثير ، من ترك الشهوات ، أو عظم
النفس ؛ أو التشبه بالملائكة ، أو التخلق بأخلاق الله ، وأمثال ذلك
ما يعدون .

بل حين يكون اليوم صائفا فهو جوع بضع عشرة ساعة ، ليست في شيء
من الأيام التي يتفاضل الصوفية بمسرها ، وإحصائها ، ويصلون بها إلى
بضع عشرات من الأيام . ومهما تكن مشقة هذا الجوع ، في اليوم القاطن
الطويل فقد يكون خيراً وأهم من احتمالها ، احتمال إمساك الجوارح الأخرى
عن آثامها وضلالاتها التي ترسبها في الدنيا !

أيها المهتم بهدي القرآن :

أحسبكم تقدرّون ما قصد إليه هذان الحديثان عن فلسفة الجوع ،
في عمل الفقهاء ورياضة الصوفية ، وأن هذا الجوع ليس أفضل العبادة ،
ولا مخ الطاعة ، بل نقول في طمأنينة : إن هذا الجوع ليس مخ الصوم
نفسه ، وليس من الصواب أن يكون الجوع طابع الصوم الظاهر عند
المتكلمين في الحكمة وفضل الصوم . . . وحبذا الصوم إمساكاً عن جميع
الأهواء والأخطاء ، والعوائد الواهمة ، والفاصلة ، ليكون الصوم رياضة
مصلحة للنفوس ، مجدبة على الفرد والجماعة ، مروضة على ما لا يسهل
الارتياض عليه في سائر الأوقات اضعف ، أو إهال ، أو عدم رقابة . .
فيكون رمضان وسيلة إلى التقوى التي رجاها القرآن وختم بها آية هذا
الفرص : كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ، كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . . . والسلام على من اتبع الهدى ما

٢ - ١٠ - ١٩٤٢

موسم خير

- ١ -

رمضان تدير حوى للاصلاح الاجتماعى

... سلام الله عليكم ورحمته « وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ » .

.. فى ظلال التقي ، وأفياء الرضوان ، من شهر رمضان ، الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، أعود لأحدث مستمعى الكرام ، من هدى القرآن ، عن موسم خير . . ولئن هدأتكم بهذا الموسم ، فإنما أهنتكم بما فى قلوبكم ، من إيمان بذلك الهدى ، وما فى نفوسكم ، من عزم على الانتفاع ، بتدبير لحياتكم ، حتى تكونوا فيها أعزة ، ذوى قوة ، تشارككم فى شئونها ، وتهيئكم لاقتيادها ، مستخلفين فى الأرض ، كوعده الله لكم .

... تحدثت قبل الآن ، عن رمضان ، وأن هذا الصوم فيه ، تنبيه نفسى ، إلى الطعام ، وفى استعمال القرآن أن أكل الطعام علامة البشرية ، وآية الاحتياج ، فكأنما الصوم تذكير متصل ، بضراعة الحاجة ردا لهؤلاء الأدميين الى حدودهم ..

وتحدثت عن نزول القرآن فى رمضان فاطمأنت ، من الاستعمال القرآنى نفسه إلى أن النزول قرب ويسر ، وإنزال الشيء هو تقريبه والهداية إليه ؛ ففى شهر رمضان ، والناس من الصوم فى

حالة خاصة، يقرب القرآن إلى نفوسهم ، ويستبينون منه الهدى ، في تفسير الحياة وتديريها ، وهو في هذا فرقان واضح ، تميز به عصر عن أعصر قبله ، من تاريخ الإنسانية

كما تحدثت في رمضان ، عن فلسفة الجوع ونظر كل من الفقهاء والصوفية ، إلى هذا الجوع ، وما أفاضوا فيه ، من أسرار شهوة البطن وخطرها ، وأنها من آكد مصادر الشرور في العالم ، وما وصلوا به هذا ، من الفكرة العامة في الحياة ، وأن الضعف فيها خير ، فرفضنا ذلك كله ؛ وأنسنا - من هدى القرآن نفسه - إلى أن هذا الجوع نعمة ومحنة ، وليس لجوع الصوم ، القصير أثر مما ذكره الصوفية ، عن جوعهم الطويل المدى ؛ وما جوع الصوم إلا ضرب من الأخذ بالاعتدال وعدم السرف في الشهوات ، ولو عمم هذا الاعتدال ، في صنوف الشهوات جميعا ، لتحققت التقوى المرجوة بالصوم . . وتبعها الكثير من الخير .

تحدثت عن هذا وما إليه ، من شأن الصوم قبل الآن . . وأريد لأحدث عن الهدف الاجتماعي والتديبير الإنساني ، فيما يمكن أن يرجح من هذا الموسم السنوي ، الذي يستهلك في كل عام شهراً .

قيل قديما وحديثا : إن هذا الصوم عبادة روحية ، تسمو بها الروح ، وتستعد للفيض الألهي ، وتنال لذة المعرفة والهداية ، ولذة

القرب^(١) . وهى معان لطاف ، تنتهى إلى لون من التجريد الصوفى ،
يخشى أن يبعد بنا عن الحياة الواقعية ، كما بعدت الصوفية عن هذه الحياة
بفلسفتهم فى الجوع ، فانتهموا منها إلى تفضيل الضعف على القوة ، فيما
أشرنا إليه من قولهم قريبا .

ونحن إنما نريد أن نلظر ما فى هذا التدبير الرياضى ، من هدف
اجتماعى ، يتصل بالحياة الواقعة العاملة ، التى عرفنا الإسلام يعنى بها
ويطلب لها ، ويصلح من شأنها . إصلاحه العملى ، غير المترهب ولا المتجرد ،
فى واقعية عاملة ، تشعر بمثالية سامية ، يدفع إليها الوجود الإنسانى ، ليبلغ منها
أقصى ما تناله قواه ويسعف عليه اجتهاده .

نريد لنلتمس هدى القرآن ، فى وصل عبادة الصوم هذه ، بالحياة
الاجتماعية العاملة ، فإن عرفنا منه ذلك الاتجاه ، حل لنا أن نتبين مداه ،
وإن أحسنا منه غير ذلك ، كففنا عن المضى فى هذا السبيل وابتغيينا غير
هذا الهدف الاجتماعى ، من الروحانية وما إليها .

وإنكم لتتلون من آية الكريمة فى الحديث عن الصوم عند المناسبات
المختلفة ، ما يحمل على النظر والتأمل . . فهو فى تشريع الصوم نفسه يجعل

(١) من حديث رمضان يوم أول رمضان سنة ١٣٦٠ هـ لحضرة صاحب الفضية
الأستاذ الأكبر (المرحوم) الشيخ محمد مصطفى الراغى . . وهو من قولهم فى حكمة الصوم :
إنه تخلق بخلق الله ، وتشبه باللائكة ، ينال به القرب من الله تعالى .

بدله على من يضيق به . إطعام غيره ، ويقول « وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ
 طَعَامُ مَسْكِينٍ » ثم هو في كفارة اليمين ، يجعل الصوم بديل طعام المساكين
 أو كسوتهم ، أو تحرير رقيق ، ويقول « فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينٍ
 مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ
 لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ »
 وهو في الإخلال ببعض أعمال الحج ، يجعل الصوم معوضاً وبديلاً ، يعوض
 العجز عن العمل ، ويقول « فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ ،
 فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَوْسَطُ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
 فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا
 رَجَعْتُمْ » . وعند قتل المحرم الصيد يقول « فَجَزَاءُ مِثْلِ مَا قُتِلَ مِنَ النِّعَمِ
 بِحِكْمِهِ بِهِ ذَوَاعِدٌ مِنْكُمْ ، هَدِيًّا بِالْبَيْتِ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ
 مَسَاكِينٍ ، أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا » . ثم هو في أبعاد من ذلك ، عند
 علاج مخالفات أو جنایات اجتماعية ، يعتمد إلى الصوم ، ففي كفارة
 الظهار ، عند عدم القدرة على تحرير رقبة مؤمنة يقول : « فَمَنْ لَمْ
 يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ » بل في كفارة القتل الخطأ يقول :
 « فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ . تَوْبَةٌ مِنْ اللَّهِ وَكَانَ
 اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا .

وإذا ما كان القرآن يهديننا إلى ابدال الصوم ، والاستبدال به ،
في مواطن اجتماعية مختلفة الأهمية كما تلونا .. وإذا ما كان يحمل بدل
الصوم إطعام مسككين ؛ ويحمل الصوم بدل الإطعام والكسوة وتحرير
الرقيق ، وإهداء الهدى — وهو لون من الصدقة — . . يحمل بدل
تلك الأعمال الاجتماعية الإصلاحية كلها صوما ، فهلا يؤذن ذلك كله ،
بأن من هدى القرآن ، أن يصل هذا الصوم بالحياة الجماعية العامة ، وصلا
وثيقا ؟ ... أحسب أن ذلك من الأمر جلي واضح . فإذا ما كان يتعبد الناس
بشهر من الصوم ، فهلا يكون لهذا الموسم ، أثر عملي في حياة الجماعة ، عمد
إليه مشرع الصوم ؟ . أحسب أن هذا كذلك جلي من الأمر واضح وهو
عما تحتاج إليه الجماعات كل حين في الإصلاح والاستصلاح . .
فما هو ؟؟

إن الفوارق الاجتماعية ، بين أفراد الجماعات لإنسانية ،
من حيث قدرة هذا ، وعجز ذلك ، ويسر هذا ، وفقر ذلك . الخ
هذه الفوارق كانت — ولا تزال — مشكلة من كبريات مشكلات
الحياة ، سيرت تاريخها وأهاجت أحداثها ، وخلقت مذاهبها الإصلاحية ،
واهتم بها الفيلسوف ، والمتدين ، والعالم . . كل في مجاله . فكيف ، وبماذا ،
ومتى ، يتم حل هذه المشكلة نهائيا ؟ .. مازال ذلك في ضمير النيب .. ولسكن

الانسانية كانت - ولا تزال أيضاً - تعتمد في تخفيف هذه الفوارق أو تهوينها ، على أن تأخذ من هذا لتعطى ذاك - فهي تبتكر وسائل الأخذ ، وتدبر له تدبيراً مختلف الألوان والصور ، متحد المرامي والغابات ، وإنك مثلاً لترى اليوم في البلاد الغربية ، حيث يشتد الشتاء ، ويقسو البرد ، قسوة مرعبة ، نستحيل معها الحياة ، على العارى ، والجائع ، ومن لا مسكن له ، وحيث يكون هذا العامل الجوى الرهيب - على ما يبدو لى - كاشفاً قويا لبشاعة الفقر ، وشناعة الحاجة ؛ ومغرياً بعيداً بآراء متطرفة ، ومذاهب جامحة .. في هذه البلاد يحتاجون إلى إعانة الشتاء ، يأخذون من الواجد ليعطوا الفاقد ، ويصرفون إلى العارى بعض ما يتقل الكاسى .. ففي هذه الإعانة يتذرعون بالشتاء ، يذكرون بشدته ، ويستحشون بقسوته ؛ ويجعلونه موسم الجمع ، ومناسبته ليظفروا . ذلك بما يكفى أو يفي . فيتبين لك من هذا المثل ، حاجة الجماعة إلى التفنن في إنجاح هذه الوسيلة الشائعة ، في معالجة الفوارق الإجتماعية ، وسد الحاجة الحيوية ، واختيار المواسم لذلك ، والاعتماد على المحرضات الدافعة فيه

وأريد لأفهم من هذا التدبير السنوى ، في رمضان وصوره أنه لون من هذا العلاج ، أو صنف من ذلك الإصلاح تداوى به المشكلة

العاتية للفقر، والحاجة، والعجز، والعوز، على أساس الأخذ من هذا لإعطاء ذلك، في موسم توافرت فيه الدوافع، وتعاونت فيه المؤثرات . . وذلك في رمضان وصومه واضح جلي، وبخاصة بعد ما عرفنا من الرأي في حكمة الصوم وأثره على النفس .

أو ليس الصوم في الذي قلنا أول هذا الحديث تذكيرا متصلا بضرورة الحاجة وعلامة البشرية، وهو بذلك رد لهؤلاء الأدميين إلى حدودهم، وكبح لظفياهم؛ فيكونون، أقل تكالبا، وأقرب بذلا، وأحيا شعورا بوحدة الإنسانية .

ثم أليس هذا الصوم— الذي قلنا آنفا كذلك— حالا نفسية خاصة تقرب القرآن إلى نفوس الناس، فيستبينوا منه الهدى في تفسير الحياة وتدبيرها، فهم بهذا القرب واليسر الذي فسرنا به نزول القرآن في هذا الشهر يحسنون ويعطون في سخاء وطيبة نفس .

وبعد : أليس الصوم — كما سبق أيضا— جوعا، هو ضرب من الأخذ بالاعتدال وعدم السرف في الشهوات، لو عم في صنوف الشهوات جميعا كما هو في الأكل والشراب لكانت به التقوى المرجوة تعدل أنهم الإحراز، وتقلل التنافس، وتيسر الضائقة، وتسعف المحتاجين .

ثم بعد هذا وذاك.. أليس هذا الموسم السنوي للصوم هو الذي ربطت به الضريبة الثانية، من ضرائب الأخذ في الإسلام، من الواجد لأعطاء الفاقد ألا وهي صدقة الفطر، بعد زكاة المال؟ من أجل ذلك كله وما إليه — مما يضيّق عنه الوقت والقول — أشعر أن الهدف الاجتماعي لهذا التدبير التعبدي في رمضان: أنه موسم خير يقام سنويا لعلاج مشكلة الفوارق وتذليل مصاعبها.

وفي سائر التشريع الإسلامي ما يعمل على إنجاح هذا الموسم بإنجاحها قويا، واضح الأثر
وإن في حياتنا اليوم، ومجال تفكيرنا ما يتسع القول فيه بعد، بيانا لمدى ما نصيبه من فوائد في موسم خير كهذا.. هياكم الله للانتفاع بهدى القرآن فيه. والاستفادة من خيره في إصلاحكم الاجتماعي..

— ١٩٤٣ / ٩ / ٩ —

موسم خير

- ٢ -

مواسم الدين ومواسم فرص للإصلاح الاجتماعي

سلام الله عليكم ورحمة . . . إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
تحدثت عن الهدف الاجتماعي لهذا الصوم فأحسست من حديث
القرآن ، عنه في مختلف المواطن ، أنه يصل الصوم بتقدير الحياة ، وصلا
يسمى معه ، أن أشعر بتقديره الاجتماعي لأثره فيها ، فقدرت أن يكون
قد جعله موسماً ، لعلاج المشكلة العاتية ، مشكلة الفقر ، والفوارق الاجتماعية
بين الناس ، وأنه قد تخيره موسماً سنوياً للخير ؛ تسخو فيه النفوس ، التي
حورب طغيانها ، وذكرت بحاجتها الأدمية . . . والتي تهيأ لها الجو النفسى
والروحى المقرب من مصادر الهدى القرآنى ، والتي حدثت شهوتها ؛
وكبح إسرافها ، بقدر من الحرمان مصلح لها . . .

وإذا ما كان للديرون ، على اختلاف منازلهم ، يتخذون العدة لإنجاح

مثل هذه المواسم التي لا يزال عليها المعتمد في تخفيف وقع هذه الفوارق، وتمويض ذلك الحرمان فأنا لنحس أن إعداد الإسلام لإنجاح هذا الموسم ، موسم الخير في رمضان يعد من أفضل التدبير المحقق للغاية المرجوة .. فالناس في مثل إعانة الشتاء مثلاً يفتنعون بالأثر الخارجى كقسوة البرد، حين يعتمد الإسلام على الشعور الداخلى ، والإحساس الباطنى، الذى يمدد الوجدان المعتقد، والنفس المؤمنة ، بعد إذ وضعت في حال مادية ملائمة .. ولقد أقام حول هذا الموسم الصوفى محرضات قوية التأثير والتذكير، من الشعور العام ، واللفت إلى أصل العقيدة ، وأساس الدين ، بجعل رمضان شهر القرآن ، وإذا ما كان الناس يتداعون في مثل هذا الخير ، بمعنى قومى أو إقليمى ، فقد عمد القرآن ، إلى المعنى الإنسانى العام ، الجامع الذى ارتفع على العصبية والروابط الضيقة ، فأخذ الناس جميعاً بفرصة عامة ، توحد وقت طعامهم ، وقد وحد قبل ذلك قبلتهم ومصالحهم، فركز شعورهم بالوحدة تركيزاً .

وقد عرفنا أن العطاء الثانى من البذل الإسلامى ، وهو صدقه الفطر ، قد وقتت بموسم الصوم ، فاطمأننا إلى هدفه الاجتماعى ، في جعل رمضان موسم خير، يصلح به أمر الناس، وتعالج جماعتهم نقصها ، ورجوت أن ننتفع اليوم بهذا الموسم، انتفاعاً واسع المدى ، بعيد الأفق، فيما

نعاينه من إصلاح اجتماعى ، قوى اليوم تنبهنا له . ؛ وذلك ما تحاول التحدث عنه بعد الاطمئنان إلى المرمى الاجتماعى، لفرىضة الصوم السنوية .

* * *

أن الإحساس يجعل رمضان موسم خير لإحساس لم تخطئه القلوب الاسلامية فى حين ما ، بل شاع على الألسن أن رمضان شهر الخيرات ، وشهر الرحمات ، وشهر الطاعات . وما هو إلا أن يوجه هذا الشعور توجهها مشمرا المنتفع بذلك الموسم انتفاعا صالحا ، بعيد الأثر فى الحياة ، وبخاصة بعدما أدركنا أن الإحسان الفردى يوشك أن يكون عملا ضائعا مبدد الفائدة ؛ وأن الإحسان المنظم ينسق تلك الجهود ، ويوجهها ويضاعف الانتفاع بها، ويعمد إلى ألوان من الإغراء والتفنن المفيد المجدى على هذا المجتمع الشرقى، البائس، المريض، الجاهل، أحوج المجتمعات للاستفادة بمثل هذا الموسم، والاعتماد فى إصلاح شأنه على نتائجها .

ومن هنا أشعر أن نجاح موسم الخير فى رمضان خليق بالتفكير الصحيح منا والتدبير الدقيق ، وتركيز جهد الأفراد والهيئات الشعبية، بل الهيئات الرسمية كذلك، تركيزا يبارك آثاره ، ويعود منه بخير النتائج على الجماعة الاسلامية؛ بل الشرقية كلها على اختلاف نحلها .

وقد عودنا القرآن فى تدبيره الاجتماعى ، ألا يمس

سوى الأصول الكبرى، للإصلاح الإنسانى ، تاركاً ما وراء ذلك ،
من تفصيل للتدرج الحيوى ، والجهاد العقلى الإنسانى ، يفتتح فى ذلك
بكل ما يسعفه عليه نشاطه ، ويؤمله له تقدمه ؛ ويقدر الاسلام فى ذلك
اختلاف الأحوال ، وتغير الأزمان . .

من أجل هذا يكفينا من البحث عن الهدف الاجتماعى للصوم ،
أن نجد فى القرآن ، ما وجدنا من الاتجاه إلى ربط هذه العبادة بحياة
الأمة، لننظر فيما وراء هذا من تفصيل وتنسيق، مهتمين بتجارب الأمم
وتنتائج الدراسة فى إنجاح هذا الموسم الخيرى فى رمضان، حتى نصيرها عاملاً
بعيد الأثر فى إنعاش الحياة، وتلافى ظواهر النقص فى نواحيها المختلفة، من صحبة
وعلمية ، وعملية ، على نحو ما تفعل الأمم الشاعرة بحق أفرادها فى الحياة
الكرامة ، السعيدة، الملتزمة لأسباب العزة والمنعة فى معتك الدنيا .

ولو أردنا تحقيق هذه الغاية من موسم الخير فى رمضان
لوجب أن نسعى إلى ذلك بتفكير عملى إيجابى جاد ، وألا نعتبر ترويض
القول إصلاحاً، ولا براعة الإنشاء جهاداً.. ولئن كنت قد خشيت — فى
حديثى السابق — من النزعة التجريدية الصوفية فى بيان مزايا الصوم
فإنى لأشد خشية لهذا الضحيج الكلامى الذى يعضى فيه المعنىون بالشئون

الإسلامية أكثر وقبهم وجل نشاطهم . وإنه لمن صميم واجبي ألا أعفيهم
- في هذه المناسبة - من كلمة حق لا بد لهم من سماعها .. فقد شاع فينا شيء
من النشاط في تأليف الجمعيات الدينية ، المختلفة الأسماء والنوع ، المتفقة جميعاً
في الخطة والمنهج . . فهو المركز المد ، والتليفون إن كان . والمشاركون
والاشتراكات ، والأعضاء ، واللجان ، والرياسة .. وصحيفة ضئيلة كذبالة يعبث
بها الهواة .. تختفي حيناً لتبدو مهزولة شاحبة ، تردد أقوال المعادة ، قد حملتها من
قبلها الكتب ، ولم تحرر ذلك التحرير الذي عرفته الثقافة الإسلامية في عصورها
السعيدة . . فإذا ارتفع صوت هذه الصحيفة بفرقة ، وخلاف متضيق على
مسألة لا هي في صميم الدين ، ولا في لباب الحياة . . . أما حال قومها
وحيويتهم ؟ أما ضعفهم الصحي ، والعقلي ، والعمل ؟ ... أما ذلهم وعزائهم
فلا شيء في هذا إلا فخر بالماضي الباهر والميراث الفاخر ؛ وما لدينا من
إصلاح للسماء والأرض ، وما نملك من تنظيم الدنيا والآخرة . . . لكن
بعيداً عن العمل .. متناسياً للواقع . . . وليست تلك روح الإسلام ، ولا هي
من خطته في قليل أو كثير ... فإنما الإسلام هو التدبير الفعلي ، والإصلاح
العملي ، والتقويم الواقعي . . . فحق تتكون هكذا جماعاتنا الدينية : نشاطاً
يدخل البيوت ، بل الأكواح ليتمتد حاجة المحتاج ، ويدفع ألم المتألم ، ويربط
على قلوب الخائفين ، ويقوى عزمات المجهدين ، في كل مدينة ، وفي كل قرية
بل في كل حي وخطة ، وكل شارع وزقاق ، غير مهمم بأساليب الجماعات

السياسية، من إدارة عالية، وصحافة صاحبة، ودعاية كاذبة، فسا هكذا الدين ولا هكذا الخدمة الدينية التي نرجو بها صلاح الحياة الإسلامية والشرقية .
ومعذرة - ياستمعي الكرام - عن هذه النفثة التي بعثها اليقين بضرورة التفكير العملي ، والتدبير الإيجابي لإنجاح موسم الخير في رمضان أو غيره ، من عمل وراء هذا الكلام الذهاب في الهواء . . .

وإذا عزم الأضر فصدقنا الله النية على العمل الجاد نظرنا في إيراد موسم الخير الذي نرده على مرافق الحياة ، وجدنا له موارد دائمة وأخرى متجددة .
فن الأولى فدية الصوم كما أسلفنا . . . وهي طعام مسكين ، ثم كفارة الفطر في بعض أحواله ؛ وهي إطعام ستين مسكيناً . . ثم زكاة رمضان ، زكاة الصوم كما يسميها الفقهاء ، وهي واجبة عن كل كبير وصغير ، على اختلافهم في وجوبها عن ظهر غنى ؛ أو وجوبها على كل من يملك زيادة عن قوت يوم لنفسه وأهله^(١) . . .

تلك الموارد وما إليها لو أشرفت على جمعها هذه الهيئات الدينية التي التمسناها ، متصلة بالحياة ، متغلغلة في صميمها لجمعت منها كثيراً جداً ، أفضل مما تؤتيه ضريبة راتبه ، تشرف عليها سلطة حاكمة مجبرة .
ثم إن وراء ذلك الموارد متجددة تمدها روح الخير ، العامة ، التي امتاز بها رمضان ، وتركت في التاريخ ظواهر حافلة كان المعروف منها في مصر مثلاً فخماً فياضاً . . وفي روح الخير هذه

(١) الأول رأى أبي حنيفة ؛ والثاني رأى العاصم .

ما يهي للقوامين على الشؤون الدينية سبلا مجدبة ، ما أكثر ما يستطيعون أن يصيبوا منها ، لو تفننوا في استمارها بأساليب ، محدثة ، لبقة ، من سمر عف وافتنان مؤدب ، وتجمع طاهر ، يلتزمون فيه حدود الفضيلة ، فيزجرون أولئك الذين لا يعرفون طريق الخير المزعوم إلا في العرى ، والسكر ، والعهر والخبائث .. ليعلموهم أن الخير الذي يجيء من طريق الخير أروع مما يجيء من هذه السبل المنكرة ، التي تصدق فيها القولة القديمة : تزنى وتتصدق ، ليته لا تزنى ولا تتصدق . . من هاهنا يجرب هؤلاء الدينيون قوام في الاتصال بالحياة من نواحيها المختلفة .

* * *

. . إذا صح العزم والتمسنا القوى المنفذة لهذا الجهد ، فإن هناك لجيشا لجيا يقوم بذلك ، فهام أولاء طلاب العلم الديني في نشاطهم الحر ، وعدد هم الوافر ، وأنهم لكثيرون .
ثم هاهم أولاء أئمة المساجد ، في معاقل للخير موزعة أحسن التوزيع نافذة في الحياة أمضى النفاذ .

وهام أولاد وعاظ الدين وأنهم لقادرون مؤثرون .
ثم وراء أولئك جميعا أعضاء الجماعات الدينية ، حين يتحول إخلاصهم التربص إلى عمل جدى ما أكثر ما يستطيعه هؤلاء وأولئك ، وما أكثر ما يظفرون به في موسم للخير ، يطول شمرا ، وما أقوى أثر ذلك في تسيير

الحياة وإصلاحها ، .. وما أفسح ميادين هذا النفع العامل ، الذي تهباً له بالتفكير والتدبير أكثر مما أشرت إليه هنا .

* * *

ما تحدثت بشيء من هذا الهدى إلا وأنا أرمى منه إلى سيادة مبدأ الفهم الاجتماعى الحر للدين ، والأطنتان إلى التفسير العملى لمواسم ومراسم لتكون مراسم حيوية ومراسم خيريه ، ولتصبح أيامه فى وجودنا أيام انهاض وإنعاش ، وأعياده لنا أعياد وإسعاد وإعزاز . وكذلك دعوت من قبل إلى أن يكون احتفالنا بمولد الرسول عليه السلام عملاً شاملاً ، فنجعل يوم المولد هو يوم اليتيم فى الشرق ، وعيد اليتامى ، حتى ليعتمد المصلحون العاملون عليه فى حل مشكلات اليتامى ، وإزاحة مصاعبهم وما برحت مكاني يومذاك حتى جمع لذلك مال - ثم ها نذا اليوم أَدْعُو إلى أن يكون رمضان ، فى هذا الشرق موسم خير سنوى يدبر له التدبير الناشط الذى يردده موسماً ناجحاً بعيد الأثر فى حياة جماعة ناشئة نلتبس القوة والعزة .

ألا لهذا الفهم الاجتماعى للدين ، والتناول العملى لنظمه دعوت ، ودعوت وسأدعو ما أفسح أجلى وعملى ، راجياً أن يكون ذلك هو ما فسكرة شاملة ، وحقيقة شاخصة .. سائلاً الله . أن يهديكم بهدى القرآن ، وينفحكم منه سلاماً ورحمةً

- ٢٣ / ٩ / ١٩٤٣ -

الدين والحياة

الإصلاح بالدين عمل يتطلب قدرة وغبرة

سلام الله عليكم ورحمته . « لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيُّمُ » .. تمارسون الآن رياضتكم الروحية ، زادكم الله قوة عليها وزادكم بها خيراً .. وفي أصيل النهار الصائم يكون المرء قد خلس من أثقال المادة ، التي قضت الفطرة أن تكون غلاف هذه النفس ومقامها ، فإذا ما تهيأت للصائم في هذا الوقت قوة إرادية ، وهدأة نفسية ، استروحت روحه وآنس في نظراته إلى الوجود تسامياً مستشرفاً ، إلى آفاق أبعد من حدود الحواس ؛ وكانت له نشوة ، يترفع بها على الضعف والوهم ، والحاجة والحرص وإنها لحال أمل أن يكون لأكثركم منها حظ يحلو به الحديث عن : الدين والحياة .. إذ الدين وضع إلهي مصلح للحياتين : الدنيا والآخرة .

وما تلك الأخرى إلا امتداد لهذه الدنيا ، تصلح بصلاحتها فأثر الدين قوى . كما أن أثر الحياة في الدين قوى كذلك بفعل من الحكمة التي تخضع لها الكائنات جميعاً مادياً ومعنويها عنه السواء

« وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ، عَالِمٌ ، الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَمَلِّئُ »

والحديث عن الدين والحياة ، والتأثير والتأثر بينهما حديث يمتد فيه نفس القول ، وتنوع فنونه ، وتلمس جوانب من وجودنا العلمى ، والعملى ، والسياسى والاقتصادى ، والجسمى والخلقى . . ونرجو أن تتسع هذه الأحاديث عن تلك المشكلات الهامة ، والجوانب الخطيرة ، للفتات عامة ، ولحات شاملة . . تلقونها بأفق سمح ، ونظرة بارئة من الضغن والمصيبة .

بإعقوب مفكرة :

كل ما فى هذا الوجود يجرى بقدر . فلا جزاف فيه ، ولا فوضى ولا صدفة ، ولا طرفة . « بَلْ هُوَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . . الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى . . وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا . . ولعل المتدين خير من يقدر ذلك ، ويسعى فى الدنيا على أساسه . .

وكذلك ننظر فيما كان من أمر الدين والحياة فنرى أن قد آذن المقدور للانسانية منذ أجيال ، أن تغير ما بنفسها ، وتنظر إلى العالم نظرة فاحصة ، فكانت نهضة مضت قدما ، تعلم وتتعلم ، وتعمل . .

وكان الدين قد استقر به الناس على حال من الثبات والرسوخ ، نفرت من هذا التغيير وقاومته . . فكان أصحاب الدنيا العالمة أسبق سيرا . . وتختلف أصحاب الدين عن واجبهم فى هذه المسائرة ، فكانت فجوة ،

تركنا أثرها في نظر الحياة إلى الدين . . فتراءت بينهما مشكلات وعقد ،
نسأل الله لأهل الدين أن يسحفوا على حلها ؛ بما يجارى سرعة العلم والعمل
اليوم . .

وإن أهل الدين في الغرب ليجدون، في سبيل ذلك جدا، عالما ، عاملا

باعتقورا مفكرة :

كان دور الشرق في النهضة ، فبدت تلك الفجوة وثار هاتيك
المشكلات ، وتقدم السابقون من أهل الدين ، يحاولون إصلاح الدين
والاصلاح بالدين . . فكانت محاولات متعددة تخطىء شيئا ، وتصيب
شيئا . . وتسدد آنا ، وتطيش آنا . . لكنها في أقصى ما بلغت كانت
في جملتها أضعف وأهون ، من المحاولات ، التي بذلها ويبدلها الغربيون في
هذا السبيل ، إذ لم تؤيد بمثل ما بلغت الحركة الغربية من المشاركة العلمية ،
أو الجدل المناضل ، ولا كان لها مثل أفقها الفسيح ولا أساليبها العملية . .
فما أحوج محاولات الشرق الإسلامي ، في ميدان الإصلاح الديني ، إلى تقويم
في مناهجها ، وأهدافها ، ووسائلها . .

وما أحقها في ذلك كله بالنظر العميق ، والتناول الوافي ، والقول الجريء
ولئن لم يتسع مثل هذا المجال لمثل ذلك كله ، فإنه ليتسع لغير القليل من
المفيد التافه فيه تسديدا لخطوات الإصلاح الديني ، وتوثيقا لصلة ما بين الدين
والحياة . . وهذا ما نحاول أطرافا منه جامعة في هذه الأحاديث .

يا عفوة مفكرة :

ألا تلاحظين معي أن دعوات الإصلاح الديني ، تبدو عندنا يسيرة الشآن ، قريبة الغور ، تعرض الأمور عرضا بسيطا سطحيا .. فجمالها : أننا مانأخرنا إلا لترك الدين .. وأنه بالتمسك بالدين نتقدم ونسود ، كما ساد أسلاف لنا .. و .. إلى اخر ما تعرفون مما يستطيع ترديده من يعرف ومن لا يعرف ، ويسهل على العامة السذج ، في الطرقات .. فلا أهداف محدودة .. ولا خطط عملية .. ولا دراسة صحيحة لشئون الاجتماع ، في الدين والحياة .. بل تتجه العناية إلى التوافه من زى ، وسمت ، ومظهر .. كأن هذا هو كل شىء .. ولعلكم تذكرون ما أحدث قطع زرا الطربوش ، وأرخاء العذبة ، من معارك .. أما علاج امهات المشكلات في الحياة فهو عندهم بين سهل التناول ، وإصلاح الحياة القضائية مثلا ، والتشريع لها ، وتحقيق العدل الصحيح ، أمور هينة ، هي منهم على حبل الذراع ، يتكفل بها أصغر متن فقهى قديم ، أو أبسط شرح .. ويتركز في تلك الكلمة اليسيرة (الحكم بما أنزل الله) !

وإصلاح الحياة الاقتصادية أهون وأيسر .. وإصلاح الحياة الخلقية أقرب وأبسط .

وأما عقد الحياة التي ترصد لها الأمم الأموال ، وتجرد القوى ،

وتؤسس الجامعات والمعاهد... وتستحدث العلوم، وتستنبط المعارف..
فما هذه كلها عندهم إلا وهم وعبث.. يستطيع أى مدع بينهم، بسلامة
نيتته وطيب قلبه، أن يلخص حلول كل تلك المشكلات الهائلة، في ثلاثين
حرفاً، أو بضع كلمات.. مما جرت به حكمة مأثورة، أو قولة شائعة، أو كلمة
سائرة.. ولو شاء أحدهم لوضع بحثاً عما تسمونه مشكلة عويصة في السياسة
أو التريية أو غير ذلك، دون حرج ما عليه، ودون حاجة إلى رجوع لما قال
الباحثون في ذلك، بل مع السخرية والاستهزاء، بما أفنى فيه أولئك
الباحثون حياتهم.

يا عقرو مفكرة :

وينسى هؤلاء أن الدين الذى يصلح لكل زمان ومكان لأنه يساير كل
زمان ومكان، لن يصلح لهذه المسايرة، بصورة واحدة لزمان واحد،
ومكان واحد، فكيف إذا كان هذا الزمان، مفذ مئات السنين...
وينسى هؤلاء أن هذا الكون خلق دقيق، من تقدير العزيز العليم،
الذى خلق كل شىء فقدره تقديراً، وأنه بذلك مجال لدرس عظيم، وبحث
عميق، وأن عليهم لذلك أن يجاهدوا جهاد أسلافهم فهم الدين، وف
الاستعانة على ذلك الفهم بعلوم الأمم الأخرى، حولهم.
وينسى هؤلاء أن للعالم سنناً ثابتة، ونواميس مقررة، وأنه لا تبديل لخلق
الله، فلا يسخر هذا الكون، إلا لمن فهم سننّه وعرف نواميسه.. ثم هذه

الحياة التي يريدون إصلاحها ، قد فسدت بمخالفة هذه النواميس
فاحتاجت علما وخبرة وعملا ، ووجب أن تكون عدة الإصلاح الديني
درسا وعلما ومنهجًا وخططا .

وقفهم الله لذلك حتى يحدثوا في الحياة أثرا .

١٩٤٦/٨/٧

الدين والحياة

الصوم سمو ونسامح
بمخفف اثر افتراق الاديان

- ٢ -

سلام الله عليكم ورحمته .. أن أقيموا الدينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ .. هاهو ذا الأصيل الصائم ، الذي توفون فيه ، على نشوة روحية ، مسلطة إلى التأمل السامى ، والتفكير المحلق ، ولا سيما بعد إلف الصوم والمراتة عليه . وهآنذا أرجو منكم فى هذه الحال النفسية الشقافة ، إصاحته إلى الحديث عن « الدين والحياة » حديثا نقدر فيه جهاد أصحاب الإصلاح الدينى ، فى سبيل إسعاد هاتيك الحياة بالدين ؛ ونريد الآن لرى موقف أصحاب هذا الإصلاح ، من افتراق الأديان ، واختلاف الملل .

أيتها القلوب المؤمنة :

.. تفرقت بالناس السبل فى تدينهم ، منذ أقدم عهود البشرية ، وبحكم تعرض الدين لشئون لدنيا ، وبحكم قوة العاطفة الدينية ، كان لهذه الفرقة أثرها ، فى بناء التاريخ ، منذ أقدم أيامه إلى الآن ؛ وربما إلى السد البعيد جدا .

وقد عانت البشرية من هذا الاختلاف ، صنوفاً من العنت والأوانا من

البأساء ، سجلها النار يخ بالدماء المسفوكة ، والمهيج المزقة ، والحرم المتهكة ،
والجهود المضيفة ؛ حتى افتتح من ذلك باب لخطأ الحكم على التدين وأثره ؛
لعلنا نتحدث إلى أصحابه في فرصة أخرى ، فدرهم إلى صواب الرأي الذي يحمل
الناس وزر هذه الشرور ، ولا يحمل الدين ولا التدين شيئا منها .. وفي كل
حال قد خلف هذا الافتراق الديني ، والشقاق الاعتقادي ، ضروبا من الحقد ،
وألوانا من البغضاء المفسدة للقلوب ، المهلكة للنفوس ، المبددة للقوى ، الصاعدة
لبناء الجماعات ، جعلت مداواتها ؛ أو التضعيف من آثارها ، عملا مشكورا ،
محمود الأثر في حياة الأمم ، وتماسك بنائها ، في معترك الحياة ، وبهذه
المناسبة نحب أن نعرف شيئا مجملا ، من هدى القرآن ، في هذه الناحية ،
وكيف نظر إلى اختلاف الأديان ، وحال المخالفين ! وكيف دبر للوقاية من
شرور هذا الاختلاف ، وإضراره بالجماعة البشرية .

أثرها القلوب المؤمنة :

أول مانوفى عليه ، من هدى القرآن ، في هذا السبيل .
تعليله نشأة هذا الاختلاف إذ يقول : «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً قَبَّمَ اللَّهُ
النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ
النَّاسِ فِيمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اِخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ ، مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ . فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ
الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .»

لجعل هذا الاختلاف من بغي الناس ، وهو ما تشهد بصحته النواميس
الاجتماعية والنفسية ، وتعفى الدين نفسه والتدين ، من تبعته وآثامه .
وتتابع التماس الهدى القرآني ، في شأن هذا الاختلاف - فقرأه
منهما تكن أسباب ذلك التفرق ونشأته - يقرر تورط الناس فيه ،
إذ يقول : وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرْيَةَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مَظْلُومُونَ ؛
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ،
إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ، وَلِلَّذَلِكَ خَلْقَهُمْ ..

وفي هذه الآية اتجاهات عالمية سامية ، لانستطيع أكثر من الإشارة
إلى بعضها هنا : إذ نحس هذا الهدى القرآني الجليل الحكيم ؛ الذي يقدر
الواقعية في خشونتها وقسوتها ، ثم هو مع ذلك ، يفرى بالمثالية النبيلة ،
البعيدة المرمى ، تاركا الإنسانية ، تتعلق من تلك المثالية بما نستطيع أن
نصل إليه ونجد في سبيل تحقيقه . .

نعم ، نجد ذلك جليا ، في أنه يقرر استمرار الناس ، في هذا الخلاف ، الذي
ورطهم فيه بغيرهم ، مع تعقيبه على ذلك توا ، بالاستثناء ؛ اذ يقول « وَلَا يَزَالُونَ
مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ » فلك الرحمة المنقذة من الاختلاف . هي
الأفق الإلهي المنير ، الذي تضيء منه تلك المثالية البارئة النقية الطاهرة القلب ،
مترفعة على بغضاء الافتراق ، وحقد الاختلاف ، وشقاق الفرقة ، وما في ذلك
كلاه ، من مآثم ومهالك .

ثم إلى هذه المثالية ، يوالى القرآن ، دفع الإنسانية ، إلى التعلق بها
محرضا على النفور من الاختلاف ، وكراهية الافتراق بمثل قوله ؛ بضع
مرات ، لامرة ولامرئين : لَأَنْفُرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ . . فى سياقات
ومناسبات تصفى على المعنى قوة من الفن القولى ، جديرة بالقول المفرد . . وفى
مثل قوله «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ، وَكَانُوا شِيَعًا ، لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ» .
وقوله : شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ، مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا
تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ . - فياله من هسدى
نبيل سماوى الشمائل ، يسمو بالإنسانية إلى أرقى مائصبوا إليه من آفاق .
أبىها العقول المفكرة : لقد كان أصحاب الإصلاح الدينى الإسلامى
أحق الناس ، بمقاومة هذه الفرقة ، وإراحة الإنسانية من شر هذا الاختلاف ،
متطلعين فى ذلك إلى المثالية القرآنية الرفيعة ، التى تسير تقدم الدنيا ، ورفى
الإنسان . فيكونون بذلك ، آية عصره ، للهدى القرآنى ، والسماحة
الإسلامية ؛ ولسكن بشرية الناس ، تلصقهم بالأرض كثيرا ، وتسد عليهم
الطريق إلى السماء ؛ وإنى بحق الصراحة الإسلامية ، لأقول : إن القوم لم
يقوموا فى ذلك ، بما يرجى منهم ولهم ، بل لقد شق عليهم أحيانا ، أن
يجعلوا الإصلاح الدينى ؛ مثالى الأفق ، محاربا للفرقة ، مطهرا للقلوب من

البغضاء ؛ إن لم نقل إنهم جعلوه ، سببا لتناء مثل هذه الشرور ؛ حتى سمعنا
بعض الأغرار في هذا العصر ، يهتفون بمثل قولهم «دين واحد» مرددين في
ذلك بعض صرخات سياسية حمقاء ، لاداعين إلى وحدة ، مترفعة على
الافتراق ، مؤمنة بأن الحقيقة الإلهية الساموية ، واحدة الجوهر ، واحدة الهدف ،
واحدة المبادئ الكبرى والأسس الأصيلة ، وبحسبي هنا هذه الإشارة
الرفيقة ، آملا لهم ، أن يجعلوا الإصلاح خليفا بأكرم الرغبات المثالية في
هذا العصر ، الذي يتطلع إلى مثل تلك الآمال الكريمة ، والاسلام معين
على ذلك كله ، وفقهم الله لخيره .

١٩٤٦/٨/٢١

رمضان . تدريب

حسن القرآن بالصوم ..
وتفاصيل أحكامه تجعله تدريباً

سلاماً..سلاماً، «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ» ..
في رمضان بجوه النفسى ، ولفته الروحى تحلو مدارس القرآن ، وكذلك
كان يفعل الرسول عليه السلام .

وفي القرآن كتاب العربية الأعظم روائع، من حسن البيان ، وطرائف
من جمال النظم ، تومىء إلى آفاق بعيدة سامية ، من المعانى ، تتفتح على
عوامل من الأهداف كريمة فاتنة .. وإن من البيان لسحرا .

وكذلك يجعل بى أن أجازبكم أطرافاً من هذه المدارس الفنية
الباهرة للقرآن .. وأنسبها ما يكون من هذه اللغات إلى آيات الصوم ، التى
يعرض لها القرآن، مرة واحدة ، فى سورة البقرة ؛ وهى الآيات التى ما أشك
أنها تليت عليكم مرارا ، منذ حل رمضان .. وعرضت عليكم فى مناسبات
متعددة وهى آيات : —

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ، فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ، فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ، وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ، وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ، وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »

أصحاب المحسب الفضي : ترد هذه الآيات في السورة ، بعد آيات عن القصاص في القتل ، والوصية من حضره الموت ، وقد صدرت هذه الآيات بعبارة « كتب عليكم .. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ .. وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ رَغِبَ إِلَىٰ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ »

كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ » وبعدها آية الصوم مبسطة بالعبارة نفسها يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ويقولون في المناسبة بين هذه الآيات المتتالية : إنه أخير

بكتب القصاص، وهو إتلاف النفوس ، وهو من أشق التكاليف ..
ثم أخبر بكتب الوصية عند حضور الموت، وهى إخراج المال الذى هو عدل
الروح .. ثم انتقل إلى كتب الصيام ؛ وهو منهك للبدن ، مضىف له ، مانع
قاطع ما ألقه الإنسان ، فابتدا بالأشق ؛ ثم بالأشق بعده ثم بالشاق^(٢١)

هذا فى المناسبة بين آيات الصوم وما قبلها .. وأما فى التعبير ونظم
الآيات نفسها فيلاحظون : أنه فى هذه الأمور الشاقة عبر بلفظ « كتب »
دون ذكر الكاتب، وهو الله تعالى، لأنها مشاق فناسب ألا تنسب إلى الله
تعالى ؛ على حين أنه يعلن هذه النسبة إلى الله ، فى الكتابة ، إذا كان
المكتوب رحمة ولطفنا ، فى مثل قوله : كَتَبَ رَبَّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ..
كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرَسُلِي^(٢٢)

وكذلك يرق الحس ويلطف .. ونمضى فى تأمل صياغة آيات الصيام
فنجد : كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ، كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ،
ويقولون عن هذا التشبيه « كما كتب » : إنه يسهل هذه العبادة ، لأن
الأمر الشاقة إذا عممت خفت^(٢٣) .

ثم نرى بعد أنه يذكّر أن الصوم « أياما معدودات » فيقولون فى وجه

(٢١) أبو جيان - البحر المحيط ج ٢ ص ٢٨

ذلك : إنه يشير بذلك إلى القلة ، كما في قوله « وَشَرَّوْهُ بِئْسَ بَخْسٌ دَرَاهِمَ مَمْدُودَةٍ » ؛ ففي هذا الوصف تسهيل على المكلف ؛ لأنها ليست كل الأيام ، ولا أكثر الأيام^(١) .

أصحاب النزوع الأردني : في هذا النسخ القرآني الموجز المعجز يعرض مرتين في آيتين متتابعتين . للترخيص بالفطر ، لمن يشق عليهم الصوم ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ.. فيشير إلى الشعور المستمر بمشقة الصوم ، ويدل على هذا إباحته تأخيره لمن يشق عليه الصوم ، كالمرضى والمسافرين ، وأنهم يؤخرونه إلى زمن الرفاهة والصحة .. وتكرار ذكر هذا الترخيص أكثر دلالة على اللطف ؛ ..

وفي الآيات بهذا النظم إشارة إلى ما يذكرونه من الحديث عن تطور الصوم ، في الإسلام ، وأنه كان أولاً تخييراً ، فكان لمن أراد من القادرين المطيقين أن يصوم ، أو أن يفدى بطعام ؛ ثم صار إجبارياً في رمضان ، فأعاد معه ذكر هذا الترخيص لغير القادرين ، لثلاث يتوهم أحد أن صيرورته إجبارياً تجعل

(١) أبو حيان ٢ : ٣٠ ، والنيسابوري ٢ : ١٧١ هامش الطبري

الترخيص بفطر غير القادرين ملنى ، وغير موجود ؛ أو تجعل هذا الترخيص غير محمود ، فكرر لإزالة هذا التوهم كله (١) .

وياما أرق ما يعقب هذا التكرار للتخصيص من قوله « يُرِيدُ اللهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ » .. والتعبير عن هذه الإرادة بالمضارع « يريد » والمضارع للحال ، فهو تعبير يحضر الصورة ، ويدل على ما هو كأن لا ينقطع ، فالرحيم اللطيف دائماً ، يريد اليسر دائماً ، ولا يريد العسر أبداً ..

ولقد أفهمت إرادة اليسر أنه لا يريد العسر ولكنه لم يكف بهذا المفهوم من العبارة ، للعموم بل ذكر بصريح اللفظ أنه لا يريد العسر ، تأكيداً أو تثبيتاً .. ويهيئ ذلك كله للعموم في جميع الأحوال ، وأنه يريد يسرها جميعاً ، ولا يريد عسرها .. وتلك هي الحنيفية السمحة السهلة ، كما وصفها الرسول عليه السلام فقال : إن خير دينكم أيسره ، إن خير دينكم أيسره ..

وهي روح يحسها جلياً من القرآن أصحاب هذه العربية ، حين خوطبوا بها ، في مثل آية : يُرِيدُ اللهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ فقال قوم من علماء الصحابة : إنه يجب على المريض والمسافر أن يفطرا .. بل يقول الفقهاء بعدم : إن من رغب عن السنة ، ورأى أن الفطر مكروه إليه ، فهذا يتمين عليه الإفطار ، ويحرم عليه الصيام ، والحالة هذه ؛ لما جاء : من لم يقبل

(١) الأستاذ الإمام - تفسير المنار ٢ : ١٧٤ .

رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفه .^(١) كما نرى منهم من يلحق الحلبى والمرضع بالمسن العاجز من الصوم فيقول : إنها تفطران بلا فدية ولا قضاء^(٢)

أيها المؤمنون : تلك لحات من الحس الفنى فى النظم القرآنى وإدراك المراميه . . . وإنا لنعرف أن الكتاب قد دعا إل دين العزة ، «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ» ... وهو دين القوة . فالمؤمن القوى عنده خير من المؤمن الضعيف . . وهو مع كل أولئك دين السلام العالمى الذى يقول : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً .. والحكمة تقتضى الملاءمة بين ذلك كله ، ووضع كل شىء فى موضعه ؛ وعلى هديه هذا ننظر بعد الذى أحسنناه ، من الشعور القرآنى المرهف لرى : أن هذا الصوم فى مشقته ، وفى جعله موسماً سنوياً لشهر ، يعد ضرباً من التدريب العلى والنفسى . يتطلبه دين القوة من المؤمنين به ، ليعدم للحياة العزيزة ، فى دنيا يذهب فيها الزبد جفاء وأما ما ينفع الناس فكث فى الأرض . .

وظواهر التدريب بادية فى هذا الصوم الشاق فالصائم يترك به أسلوبه العادى فى الحياة سائر السنة وياخذ نفسه بحرمان عام طول نهاره ، وطرفاً

(١) ابن كثير ١ : ٤١١ (٢) ابن كثير ١ : ٤٠٦ .

من الليل أيضاً، وهو يرى رغباته ، ويستطيع أن يناهها ، لا يمنحها عنه إلا ضبط نفسه ، بإيمان يلزمه في السر مالا يلزمه به أحد يراه أو يرقبه ؛ فهو يروض إيمانه أول ما يروض، ثم يروض بعد ذلك مقاومته السادية في ترك « كيوفه » المتحكمة ، وقهر شهواته المسيطرة ، ليكون له بذلك من الجهد والصلابة ما يمارس به الحياة الجادة القوية المعتزة

وهذا التدريب من دين القوة والعزة قد صحبه ما يكون مع التدريب عادة ، من صلاحية المتدربين ، وأن تكون لهم صحة مواتية . . بعد أن يكونوا في سن مناسبة، هي سن التكليف الديني .

وكذلك ترون أن هذا التدريب قد أعنى منه الصغار ، الذين لم يصلب عودهم بعد، أي قبل سن البلوغ . . كما أعنى الكبار الذين جاوزوا سن الاحتمال لنشاط هذا التدريب

وأعنى كذلك منه الرجال الذين يحول ضعفهم الصحي ، دون الاحتمال لما لمسنا من الحس القرآني الواضح بمشقتة . ثم أعنى من ذلك الرجال الذين يواجهون في الحياة مشقات مدربة بطبيعتها كالأعمال الحربية للمجاهدين المحاربين فملا ، أو المدربة بقسوتها كالأعمال العنيفة في الحياة العامة، لأن لهم فيها ذاتها تدريباً متصلًا .

وعد من ذلك السفر لأنه لا يهيء — غالباً — الراحة التي تعين على الاحتمال . . ولا يريد الله بكم العسر .

وأعفى من هذا التدريب النساء حين يقمن بواجب الأمومة الأكبر
من حمل أو إرضاع . وسمعت من يعفيهم من ذلك إعفاء تاماً ، دون قضاء
ولا فداء .

* * *

وبعد الذى وجدنا من حس القرآن الفنى للصوم : وبمدا وصفنا
من أن هذا الصوم تدريب اجماعى ، نفسى ، سنوى للمؤمنين بدين القوة
والعزة ، والسلام ، نتحدث إلى صنوف من الناس ما بين مفطرين ،
وصائمين . . فمن المفطرين صنف يتحدث عن قسوة هذا الصوم وعنقه ،
ويذكر من أسوأ الزمان والمكان وتغيرها ما تعرفه إن كنت قد سمعته ،
أولاً خير لك فى معرفته إن كنت لم تسمعه . . فهو جرىء معربد .
ونقول لهذا الصنف :

أولاً : إن للقرآن من الحس بوقع الصوم ما لو كان لكم بعضه
لكنتم شيئاً بين الأمم ذات المكانة الفنيه . . ثم نقول لهم :

ثانياً : إن هذا الصوم تدريب تجميدى ، يقوم بمثله فى الأمم حولكم
من هم أشد الناس رفاهية . . ماداموا قادرين عليه . . كما قرر القرآن
فيا سمعنا .

وهناك صنف من المفطرين ، لم يكروا ولم يقولوا شيئاً ، لكنهم

شعروا ، بصفة عامة ، أن الصوم صعب ، مع أنه هام في الدين ؛ فمظاهروا بالصوم ، كذبا وزورا ؛ وخسروا الدين واخلقوا جميعا . . . ولو أدركوا تأكيد الدين لخصته ، وحسن القرآن نحو الصوم لصاموا أو أفطروا ، على أساس صحيح ، وفي معالفة شجاعة . ، فسلم لهم الدين واخلق معا .

ثم إننا نتحدث مع ذلك إلى صائمين ؛ منهم صنف يحسب الأمر جوعا ، لأكثر .. فهم يجوعون الساعات المقررة ، ليرسلوا لشهوتهم بعدها العنان ؛ وكأنما جاعوا ليثيروا شهوة أعنف مما تنور الشهوة في الفطر !!

ونقول لهؤلاء : لو أدركتم شعور القرآن نحو الجوع لأدركتم أنه لا يمكن أن يراد لذاته ، وأنه مع حالهم هذه بعد الإفطار لا تتحقق عبادة ، ولا تكون فائدة دينية ، أو عملية في صوم .. وإنما هو تجوع لإثارة شهوة ليس وراءها إلا التخمّة القاتلة ؛ وما كان الله ليعبد الناس بما يقتلهم .

ومن الصائمين صنف غير هؤلاء .. يحسبون هذا الجوع بلاوعى ولا رشد هو العبادة ، فيأخذون الأولاد قبل سن التكليف بهذا التجويع ، ولأسميه صوماً بدا ، فيتهي جوع هؤلاء الذين لم يكلفوا بصوم إلى مضار نفسية ، بشعة ، تفسد أخلاقهم ، إذ يسلمهم ذلك الإكراه القاسى ، إلى التفتن في الاحتيال والكذب ، ويفريهم بالمرأاة ، ويروضهم على الغش والتفناق . إلى جانب

ما يركز في نفوسهم من نفور وكرهية لهذه الفريضة .

فقدروا حس القرآن ، الذي تمثلتموه مما سمعتم ، عن مشقة الصوم ،
لتدركوا أن هذه المشقة لا تراد لذاتها أبدا ؛ وإنما هي تدريب
للقادرين الواعين المكلفين ، المستفيدين منها - فإما صوم ترجى معه
التقوى .. فهو يصلح النفوس .. ولا يفسد الأجسام .. وإما لا .. يُريدُ
اللهُ بكمُ اليُسْرَ ولا يُريدُ بكمُ العُسْرَ

— مارس ١٩٥٨ —

الصوم .. فى حياتنا

تدريب فاسر .. مع وفرة المدرسين

.. « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

صارت أمتكم هذه خير الأمم، بأمرها بالمعروف ، ونهيها عن المنكر،
وذكر ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فى بيان وجه خيريتها ، قبل
ذكر إيمانها بالله .. كما لعن الذين لا يتناهون عن منكر فعلوه ، على لسان
الأنبياء منذ القدم . وإلى جانب هدى القرآن فى ذلك الهدى النبوى ، إذ
يقرر « أن الدين النصيحة » .. الدين كله هو النصيحة .

وتغيير المنكر باليد واجب ؛ ثم تغييره باللسان، ثم تغييره بالقلب .. وهذا
أضعف الإيمان ، وعلى هذا الهدى النبوى أفتى العلماء منذ بضعة قرون فى
بلدنا هذا : أن المخاطرة بالنفوس فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
مشروعة ، وأن من قال إن التعرير بالنفوس لا يجوز فى هذا ؛ فقد بعد عن الحق

وتأى عن الصواب (١)

(١) السبكى — طبقات الشافعية ٥ : ٠٠٩١ . والفتوى المذكورة لعز الدين بن عبد السلام ،
عالم مصر والشام .

وأستحضر هذا كله ، حين أحدثكم عن الصوم في حياتنا ، حديثنا يليق أن يوجه لخير أمة ، أخرجت للناس ، من أحد أفراد هذه الأمة وقد سبق حديثي إليكم عن أن الصوم تدريب ، ولسنا من حس القرآن الفنى، الدقيق العميق ، أن هذا الصوم مشقة ؛ وأدركنا ذلك من نظم آيات الصوم فيه : في مفرداتها ، وتركيبها ، وسياقتها : واطمأننا إلى معنى التدريب التجنيدي للصوم ، في دين يدعو للعزة ، ويعمل للقوة ، حتى يتحقق دخول المومنين كافة في السلم ..

وهذا الصنف من التدريب تقصد إليه الأمم ، وتجده كل سنة ، فترة معينة ، طوال السن القادرة على أعبائه ورأينا الشبه الكامل ، بين نظام الصوم ونظام هذا التدريب ، من اعفاء غير القادرين ، والقائمين بالأعمال المجهدة . وإذاما اكتمل هذا المعنى الحيوى في الصوم كان عملا مفيدا ، فاسمحوا لى أن أسألكم عن حال هذا الصوم في حياتنا : أحقا هو هذا التدريب ، الذى حدث المتحدثون الواعون عن حكمته ، في قوة الإيمان وضبط النفس ، وتقوية الإرادة ، وإحياء الشعور الإنسانى بواجبنا ، وبحقوق من حولنا ، وما يتصل بذلك من المانى التى تحققها هذه الرياضة ؟

وهل صحيح أننا نصوم صوما تدريبييا ، يحقق هذه النتائج ، أو يحقق شيئا منها ، أو يحقق شيئا يشبهها أبعد الشبه ؟
إنى لأعرف ، وإنكم لتعرفون ، كيف يتم هذا الصوم في حياتنا ..

فإننا نتلقى رمضان بالجشع النهم ، الذى يتخذ جوع الصوم - كما كررت ذلك - وسيلة لإهاجة شهوة البطن ، للتفنن فى إشباعها ..

أسنا نستعد للصوم بمخزين رمضان، الذى تمثل كثرته وإسرافه ، تلك الفكاكة الشعبية ، عن الزوجة التى زحم زوجها البيت بحاجة رمضان ، حتى ضاقت بها ، وضجرت منها ، فاصدقت أن سمعت الناس ينادون رجلا اسمه رمضان ، حتى نادته وطلبت منه أن يأخذ حاجته ، التى زحمت البيت . . وأعطته جميع خزين رمضان .

وخزين رمضان لا يكون فردياً عادياً فقط ، يهتم به فرد أو أفراد مسرفون بل يكون رسمياً ، نظامياً ، حكومياً ، فالدولة تعد لكم ثلاثات اللحوم ومغازن الدقيق الفاخر ، وتوفد البعثات التجارية لشراء المكسرات ، بل تسخر قوى الأمن لحل مشكلات التوزيع ، حين تستدعون شرطة النجدة ، لتحصلوا على اليميش . . ثم هى تزيد مقرراتكم من التموين نصفاً جديداً ، فى رمضان . ويتولاكم الذعر إذا لم تجدوا من المشهيات والمهليات شيئاً تافهاً ، فالصحف تبكتب بانلخط العريض ، على أعمدة : لا تخف يحتفى قمر الدين يومين فقط ، ثم يملأ السوق !!

فهل رأيتم ، أيها السادة الواعون ، حية دينية تكون فرصة لإتارة السهم الخطر إلى حد تتدخل فيه أجهزة الدولة الرسمية المختلفة ، ووسائل الدعاية العملية .!

وهل سمعتم أن تدرّيا رياضيا أو عسكريا، يجعل نشاط النهار ويجعل
طواير التدريب نفسها سببا للاندفاع المتهور في متع الليل ولذا نأذنه !! لأن
التدريب يقوى الجسم، ويثير الحيوية! فكيف يكون ذلك في عبادة شرعها دين
يقول كتابه: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا». ويقول رسوله عليه السلام: نحن
قوم لأننا كل حتى نجوع. وإذا أكلنا لا نشبع .. وغير ذلك مما يقول للعلماء.
أما إنكم ياستمعي الصرخاء، لورعيتم معي حرمة النصيحة في دينكم
لسمعتم لي أن أقول بعبارة واضحة :

إن صومكم هذا تخريب لا تدريب.. وإن صومكم بحاله هذه، وغيرها
من التصرفات السيئة، والأفهام الخاطئة ليسىء إلى العاطفة الدينية نفسها
قبل كل شيء، لأنه يطيل الألسنة، على التدين في وقت تغمر الدنيا فيه
موجة إلحاد حاكمة مهيمنة، وإن صومكم هذا، وفهمكم للصوم ليسىء إلى
التربية الخلقية، فعدم شعوركم بحس القرآن نفسه نحو الصوم، ونظر الدين ذاته
لأسباب الإغفاء منه يدفع صفارا وكبارا إلى كذب عملي، ونفاق فعلي طويل .
وإن صومكم هذا وفهمكم للصوم ليسىء إلى الصحة القومية إساءات كبيرة
بإيذاء العدة التي هي بيت الداء .

ثم إن صومكم هذا ليسىء إلى حياتكم الاقتصادية والعملية، فيجعل الصوم
سببا رسميا لتقليل العمل، واعتذارا فعليا للاهمال والخطأ، وسوء المعاملة
في مختلف الميادين

وإن الصوم في حياتنا ليس في شيء من التدريب ، بل هو في كثير وكثير من التخريب - كما قلت - وما أحوج هذه الحال السيئة ، التي يتجاهلها النفاق الاجتماعي ، ويخفيها الضعف الخلقى ، ما أحوجها إلى إصلاح ، له من القوة ما يعالج هذا كله ، ويدفع هذا كله ، ويجعل الصوم وسيلة إصلاحية صحية ، اجتماعية ، وخلقية ، واقتصادية ، كما أريد من الصوم ، وكما أريد بالصوم .

* * *

واسمحوا لي ببقية من شجاعتكم ، لأتابع الصراحة المؤمنة ، في عرض أصول الإصلاح لهذا الصوم ، الذي هو - فيما أدركنا - تدريب ، بكل معنى هذه الكلمة .

إن التدريب ، في أي صورة من صوره يحتاج إلى مدرسين ، كصف الضباط في التدريب العسكري .. وصف الصباط في الميدان الديني - بصفة واضحة - صف طويل جدا .. فمع ما نعرفه جميعا من أن الإسلام ليس له طبقة متميزة من رجال الدين فإن في الحياة فعلا آلافا أو ملايين ينتسبون إلى الدين ، ويرزقون باسم الدين ، ويحترفون شعائر الدين ، ويمارسون تعليم الدين .. وما أكثر ما يستطيع هؤلاء أن يفعلوا الدين كما ناديت كثيرا

وفي هذا الصف أئمة المساجد ، ومقيمو الشعائر فيها .. ثم فيه الوعاظ من غير رجال المساجد .. وفيه بعد كل أولئك آلاف الطلاب بالمعاهد

الدينية ، في درجات التعليم المختلفة ..

وينبغي أن يكون لهؤلاء الطلاب نشاط حيوى ، كما نغيرهم من الطلاب المدنيين ، في المدارس ، والجامعات ، والمعاهد ونشاطهم في الميدان الدينى أنسب لهم ، وأليق من نشاطهم الذى يظهر منه ، فى المصارعة ، والتمثيل ، والموسيقى .. لأنهم فى هذا النشاط الدينى غير مزاحمين ، على حين هم غرباء فى تلك الميادين الأخرى من النشاط الالاهى .

وإلى جانب هؤلاء ، فى صف ضباط التدريب الدينى أيضا ، الجمعيات الدينية ، ولاسيما الكبرى منها ، ذات الفروع والشعب .. وعلى رأس الصف هذا الذى يسمى المؤتمر الإسلامى ، الذى يتحدث عن الحياة الإسلامية ، فى غير مصر ، فأولى له ألا ينسى مصر .

هؤلاء جميعاً يكونون مدربين . فى التدريب الدينى . لو نظم نشاطهم ، ليجعلوا الصوم تدريباً قوى الأثر فى حياتنا ..

وذلك بأن يتخللوا جميعاً فى الحياة ، ويفشوا بيناتها المختلفة ، ويتخالطوا الناس ، ويدخلهم ، كما يفعل رجال الأديان الأخرى أمام أعينهم ، فى دأب وجد .. فلا تكفى هذه الصفوف من المدر بين عندنا بالمنبر ، أو الميكروفون فى ساحة المولد .. وسبيلهم إلى هذا الاتصال الناقع الخالط هو تكوين الهيئات الشعبية ، من أصحاب النفوذ الدينى الحى ، وأصحاب النفوذ الاجتماعى فى قومهم ، يستعينون بهم ويعينونهم على ملاسة الناس ، والاندماج فيهم ، عند المناسبات المختلفة ،

التي للدين والتدين فيها مجاله ، لأنها فرص مباشرة مواتية ، لتصحيح فهم الناس للدين . وحكمه ، وإزاحة أسباب النفاق الديني والاجتماعي ، وإزالة الخوف - بلا أساس - من أوهام تقليدية ، وإراحة النفوس الحائرة من مشكلات نفسية ، أو اعتقادية ، أو عملية . . . ويزيد نفاذهم في هذا المجال كلما أحسنوا التعبير المرن اللبق ، الحلي ، عن المعاني الدينية الحيوية ، فيكون لهم من العطف على الناس ، والاتصال بأرواحهم ، والقرب من قلوبهم ما يحقق التوجيه القرآني للرسول عليه السلام حين وصفه بقوله: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ، وحين قال له «لَوْ كُنْتَ ظَفَا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»

وبهذه اللباقة يقربون إليهم رخص الدين ، ويكشفون لهم يسره ، ويحطمون أوهامهم حوله ، فيفروهم به ، وينفرونهم من التصرفات التي تضيق بها حكمة التهذيب الديني ، كهذا النهم والجشع ، في شهر الصوم ، فيصلحون أمرهم ويعفون الدولة من أعباء تحملها في هذا الشأن ، خشية فهم هؤلاء الخطئين للحياة ، المقدرين لها ببطونهم .

وإن هؤلاء المدربين الكثيرين ممن عدت ليستطيعون الإصلاح الإيجابي العامل لهذا الصوم ، ويحققون به خيراً كثيراً ، لو نظموا مثلاً فدية الفطرين ،

وجمعوها ثم نظموا ما هو من وادبها ، كالكفارات ، وصدقة الفطر ، التي يحتم بها شهر الصوم ، ونفذوا من ذلك كله إلى عواطف الخير في الناس ، فجعلوا شهر الصوم موسم خير ، وفرصة معونة - تكون النفوس فيها أكثر سخاء . . . فأى شيء يكون هذا كله ؟ . . . وأى إصلاح اجتماعي يتحقق به . . . وأى جدوى تكتسب مثل هذا النشاط العامل الفعال ؟

لقد ناديت منذ بضعة عشر عاما ، من هذه الإذاعة ، بفكرة إصلاح الحياة بالدين ، عن طريق جعل مواسمه ومراسمه فرصة إيجابية للإصلاح الاجتماعي ، ووصفت من ذلك خططا وخططا . ومهما يظن أن ذلك يذهب مع الريح فأبى واثق أنه لا بد يوما متحقق ، ومنفذ . . . ولا يأس من روح الله ، ولا خوف من إعلان الحق ، والمواجهة به ، فقد صح القول بأن هذا النصح واجب مهما تكن المكاره فيه .

أبريل ١٩٥٨

عيد الفطر

في التدين الموجه فرص كبرى للمعاطة القيم في تمييزنا

عادتك الأعياد في أمن وطمأنينة ، وحرية وكراةة ، وعزة ومنعة
وبعد .. فياترى لديكم من الفراغ والنشاط ما يجلسون معه لاستماع
حديث ، وأتم في مشغلة عيد .. أم تتركون الاستماع إلى الإذاعة لتلك
الأحاديث ؟ .. إنى أعرف أن كثيرا منكم يغيرون المحطة عند ما يحين وقت
حديث ، أو ينهون ضجيج هذا الراديو .. وأحسب أن الإذاعة نفسها ينبغي
لها أن تواجه هذه الحقيقة ، وتبحث عن أسبابها ، في تنعيم دقيق ، فتحسن
بذلك إلى نفسها ، وإلى الناس

. وتلك خواطر راودتني ، وأنا أفكر في هذا الحديث فتمنيت
أن يكون هذا الحديث الذى نصر الإذاعة على إرساله يوم عيد الفطر
حديثاً خفيفاً ، سامراً ، قريباً من الأنفس في ذلك اليوم ..
ولكن ماذا أصنع وأنا أميل أشد الميل إلى أن تكون تلك الأحاديث
مجالاً لتوجيهات عملية ، إيجابية ، تجعل للحياة الدينية في وجودنا ونهضتنا أترأ
جديراً بها ، متناسباً مع مكانتها وقدرتها .. ثم أنا بعد ، لست من أصحاب
الأسماء المسلية ، وذوى الطرف المؤنسة ، والفكاهات المرفهة .. فن تابع
الاستماع لهذا الحديث فليغفرلى إن تحدثت يوم العيد عن نشاطنا فيه ،
وما يرجى لهذا النشاط ، من سداد ورشاد .

دعوني أتحدث إليكم عن عيد الفطر متأثراً بالأصداء التي تتردد في أجواء حياتنا اليوم ، ويردد الهتاف بها ، فإننا نسمع الكثير من القول ، في الاقتصاد الموجه ، من أصحاب المال ، وأقطاب النشاط المادى .. يريدون بذلك أن يكون نشاط أصحاب الأموال والأعمال متجها إلى إفادة الحياة الاقتصادية العامة . وتنتشر دعوة التوجيه هذه ، حتى نسمع صداها ، في الميدان الفنى والأدبى ، بما يذكرون من الادب المهادف ، أو الموجه أيضاً .. ودون أن نخوض في أصول المذاهب السياسية أو الاجتماعية التي ترسل هذه الشارات والهتافات .. ودون أن ندخل كذلك في الخلاف حول إمكان توجيه الفن والأدب ، أو عدم إمكان توجيههما دون شىء من هذا كله نشعر أن جملة الفكرة فى التوجيه والمطالبة ، هى : الحرص على خير الجماعة ، وتنسيق شئوننا تنسيقاً يمنع التداقم ، والتكرار والتهدد .. وهى غاية تدفعنا إلى سؤال من هذا الأفق هو : هلا نحتاج الحياة إلى التدين الموجه ؟ أو لعل الأولى أن يكون السؤال : هلا يبدو أن النشاط الدبنى أجق بأن يكون موجهاً ؟ وأقرب إلى أن يكون موجهاً ؟

فما رأى فى الإجابة عن هذا السؤال ، فى أى صورة بوجه بها ؟
أحسب أنكم فى هذه المناسبة ترون ، أن الشعور بالوحدة الاجتماعية يبدو فى الإسلام قويا ، بل عنيف القوة ، حين يذكر أن : مَنْ قَتَلَ نَفْسًا
بَغْيَرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا

فَكَأَنَّمَا أُخِيًّا النَّاسَ جَمِيعًا وَإِنْ نَظَامًا هَذِهِ نَظَرْتَهُ إِلَى الرَّابِطَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ
بَيْنَ أَفْرَادِهِ ، لَجَدِيرِ كُلِّ الْجِدَارَةِ بِأَنْ يَكُونَ مَا يَثْبُرُهُ مِنَ النَّشَاطِ الْاجْتِمَاعِيِّ مَوْجِهَا
أَوْ هَادِفًا ، يَنْسَقُهُ التَّوْجِيهِ ، وَيُنْتَهِي بِإِهْدَافِهِ إِلَى خَيْرِ الْجَمَاعَةِ ...

وَلَوْ مُضِيَّتْ إِلَى أْبَعَدَ مِنْ ذَلِكَ ، فِي النَّظَرِ إِلَى طَبِيعَةِ التَّدِينِ وَجَوْهَرِهِ ،
وَأَنَّهُ وَحْيٌ يُوْحَى ، وَأَمْرٌ يَتَلَقَى ، وَيَقِيدُ بِرِسْمِ لِقَدْرَتِهِمْ أَنَّ طَبِيعَةَ النَّشَاطِ
الِدِينِيِّ تَقْتَضِي التَّوْجِيهِ ، وَأَنَّ رِسَالَتَهُ تَتَحَقَّقُ عَلَى وَجْهِهَا ، إِذَا مَا تَهَيَّأَ لَهَا
هَذَا التَّوْجِيهِ الصَّالِحَ الْبَصِيرَ .

وَإِذَا أَجْرَزْتُمْ لِي أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْكُمْ حَدِيثًا مَوْجِهَا فِدْعُونِي أَعْرَضَ مَعَكُمْ
نَشَاطُنَا فِي عِيدِنَا هَذَا ، ذَاكِرِينَ وَإِيَّاكُمْ مَا يَعُوزُهَا مِنْ تَوْجِيهِ خَيْرٍ
وَإِهْدَافِ رَشِيدٍ .

وَلَا أَشُكُّ أَنَّكُمْ شَعَرْتُمْ مِنْذُ أَيَّامٍ ، بِمَا يَزْحَمُ الشُّوَارِعَ وَالطَّرِيقَاتِ مِنْ صَاحِبَاتِ
عَلَى الرَّعُوسِ ، غَادِيَّةٍ وَرَاحِمَةٍ إِلَى الْأَفْرَانِ ، بِمَا فِيهَا مِنْ نَوَاعِمِ السَّكْحِكِ وَالْفَرِيَّةِ
وَقَدْ أَطَالَ الْقَائِلُونَ الْقَوْلَ ، فِي هَذَا السَّكْحِكِ وَغَرِيْبَتِهِ . مِنْ النَّاحِيَةِ الصَّحِيَّةِ ،
وَمِنْ النَّاحِيَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ . وَمِنْ النَّاحِيَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ، فَمَا أَطْمَعُ بَعْدَهَا فِي أَنْ
أَشْغَلَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ التَّوْجِيهِ إِلَى تَلَافِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، بِتَأْثِيرِ دِينِي ،
أَوْ اعْتِمَادِ عَلَى تَدِينِ مَوْجِهِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَبْدُو سَهْلًا ، مِنْ النَّاحِيَةِ الْعَمَلِيَّةِ ،
حَتَّى أَعْنَى بِالْحَدِيثِ عَنْهُ .. كَلَّا .. إِنَّمَا ذَكَرْتُ زَيْطَةَ السَّكْحِكِ لِأَنَّهَا
تَكُونُ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ الَّتِي يُوْجِهُنَا الدِّينَ فِيهَا إِلَى عَمَلِ إِنْسَانِيٍّ اجْتِمَاعِيٍّ نَحْمُ بِهِ

الصوم؛ وهو إخراج صدقة الفطر ، التي يقع عادة أن تقدم في أواخر رمضان ، فإذا بنا لا نسمع ولا نرى شيئاً عن هذا النشاط الخير ، يساوى واحداً في الألف ، أو واحداً في الآلاف ، مما نسمع ونرى ، عن كحك العيد ، وما يتصل به ، وما يبذل فيه ، وما ينشأ عنه .

فهل يجب أن يكون الواقع الديني ، أو التدين الموجه عاملاً فعالاً في تنشيط هذا الخير المعطل ؟ بالتدبير لتنفيذه ، والاستفادة منه ، في حياة الناس ، استفادة تصحح وتصلح بعض أخطاء النشاط ، في الكحك ، وفصيلته من القم الدسمة ، المسرقة ، المجهدة للجيوب والبطون !! .

هذه واحدة أسرفت ، وتلك واحدة تعطلت ، وليستا كل نشاط عيد الفطر عندنا ، بل لنا فيه من النشاط ما تعرفونه ، إذ يعتبر هذا العيد عيد الخلاق « الخلق » ، مقابلاً لعيد الأضحى ، عيد المرأ « المرق » .. ففي هذا العيد يكون الاحتفال بالكسوات والملابس ، حين يكون الاحتفال في العيد الكبير ، باللحوم والمآكل . .

ولأنحسبوا أنى سأكون ذلك المتزمت المتشدد ، الذي يسى ما في ظاهرة التعميد من بهجة ومرح !! كلا فليفرح الصغار ، بما يفرحهم ، من الملابس ، واللعب ، والعيديات ، والهدايا ، والفسح ، وما يلد لهم من أمثال ذلك . ولكن دعوني أسأل :

أكانت هذه الأعياد في وضعها الديني والاجتماعي فرصاً للأطفال ،
ومن في حكمهم من البسطاء والسذج ؟

أم كانت هذه الأعياد في الدين والاجتماع لبست إلا محاولة لرد
الناس جميعاً إلى طفولة مرحة ، لاهية ، لاعبة ، يتخففون فيها من وقارهم
الجاد ، وأعيانهم من النظام المترمت بأن يلهوا ويلعبوا ويأكلوا ويشربوا ،
في حفلات سينمائية المظهر ، بضعة أيام ، كل عيد ، تكون أربعة أيام في
عيد الفطر ، وخمسة أيام في عيد الأضحى ؟

لا أستطيع ، ولعلكم لا تستطيعون معي التسليم بتأصل هذه
النفاهة ، في الأعياد ، فلندع للصغار سذاجتهم ، ولنسأل : ماذا للكيار في
العيد ؟ .. فلا بد أن لهم شيئاً... فليكن لهم شيء من الراحة وللرح أيضاً ،
ولسكن ! ألا يصحب ذلك شيء من تدين موجه ، أو توجيه ديني ، يصون
هذه البضعة الأيام ، عن أن تكون مرحاً محضاً ، وكسلاً كاملاً ؟

ألا يمكن أن يكون للعيد ، بلهوه ومرحه ، أثر أجدي على حياة مجتمعاتنا ؟
ألا تكون مظاهر البهجة والراحة نفسها وصلة لشيء طيب ؟
ألا يكون التزاور في العيد ، ولا تكون التهنئات بالعيد ، على الأقل ،
فرصة ومناسبة طيبة لعمل طيب ، وأثر خير ؟

ألا تكون الزيارات والتهنئات مناسبة لإزالة الخوصومات ، وسهولة
المصالحات . . ونحن بحمد الله - الذي لا يحمد على مكروه سواه - من

أكثر الناس شغبا ، في القرى والمدن على السواء - تحك للواحد منا على مناخيره - كما يقولون - فيثور ويفضب لكرامة موهومة ، وإهانة مزعومة . . فليقنا في مرح العيد وبهجته ، نسكون بهذا المرح وتلك البهجة - طيبي القلب هادئين . نسوي نزاعاتنا ، وننسى خصوماتنا ، ونصلح ذات بيننا ، ونقرب شقة خلافنا ، ونؤلف قلوبنا . . فذلك أيسر ، وأقرب ما يجدي على حياتنا الاجتماعية أفرادا وأسرا في تلك المناسبة الباسمة المبهجة بالعيد .
وأبعد من ذلك ، إذا صح العزم على التدين الموجه ، والتوجيه الديني ، أن تكون لأعيادنا وتعميدنا معان اجتماعية حيوية ، يكون بها عيد الفطر ، بعد رمضان ، كما تكون الأعياد في حياة الأمم : وقفة بعد مرحلة من مراحل سير الحياة . . يقف فيها ركب الإنسانية ، ليستجيم ، ويستعد . . ويتبين ماذا قطع من الطريق ؟ وكيف كان سيره فيه ؟ وماذا بقي من مراحلِه ؟ وكيف سيقطعها ؟

وفي هذه النظرات العليا مجال ، بل مجالات لتوجيهات اجتماعية كبرى ، يحققها التدين الموجه ؛ وقد أسلفتُ قديما في ذلك ما أسلفت ، من اصلاح اجتماعي بالدين ، في مواسمه ومراسمه . . وحسي هنا أن ألفت للباسايط القريبة فقط .

ولعل احتفالنا بالعيد ، في مدينة الأموات « القرافة » لا يقل نشاطا عن احتفالنا به في مدينة الأحياء وقريتهم . . وإن هذا الاحتفال بالموتى

لبر ووفاء ، يحمّد ولا يُذم ، وإنه لاتعاطى واعتبار ، يشكر ولا ينكر . .
 ولكن لنا فيه أشياء لاتخلو من نكر ولا يعدوها النقد ، فإننا نعرف ما يحمل
 إلى المقابر من رحمة ، وفواكه وما إليها ، فبوا هذه الزهور المنثورة ،
 والخصوص المفروش على شواهد القبور هو شيء من التحية بالريحان يوم التزاور .
 وصورة من التعبير الفنى عن عاطفة أو وفاء . . هبوا هذا كذلك ، أو أكثر
 من ذلك ، وقولوا لى : ما هذه اللقم المكسرة ، والقواكه المبعثرة ، يتلقفها
 آلاف من الصغار والكبار ، فى تراحم وتضارب ، وعلى صورة مهينة لا خير
 فيها ، مع هذا التبديد المضيع ، الذى لا حرمة فيه لآخذ ، ولا فضل للمعطى . .
 بل قل : إنه لاجدوى فيها تذكر لمن يأخذونها فتافيت ، ويبيعونها بأبخس
 الأثمان ، مع أن المبدول فيها . من الأفراد لوجع لبلغ آلافاً من الجنيهات .
 لو لم تبدد هذا التبديد الفردى السفيه ، لغير مستحق وبغير فائدة . وفى غير
 غناء لى ولا ميث ، لو لم تبدد هكذا ، وجمعت - فى نظام - لوجهت إلى
 ضرب من البر المنظم المجمع ، الموجه ، المركز ، ليكون منه رموس أموال
 صغيرة ، أو تسلف بلا فائدة ، تدفع لمن لا يجدون ذلك ، مع ما لهم من نشاط
 معطل ، فيارسون بها عملا صناعيا أو تجاريا ، ليصان به ناس من
 التشرّد والضياع ، بل تفتح بيوت وتنقذ أرواح ، وتصان أموال تبدد فى
 الهواء . . وبوضعها المنظم المجمع هذا ، تكون بحق رحمة للموتى ، وبما فيها من
 بر حافل بالأحياء - وليدفع الناس مبالغ أقل مما يدفعون فى الرحمة ، تحصل

منهم بصورة مغرية محببة ، تحت عنوان دبنى محبب مشجع ، يكون
أموالقيمة.

وأخيرا . . كم فى المجال من مقال ، عن التدين الموجه ، والموجهين
الدينيين ، والتنظيم والابتكار منهم ، ولهم . . أصارحكم بحق أنه ليس
بالجديد عندى ولا المبتدأ الآن ، بل سبقت فيه اشارات ، وكلمات بل
مشروعات مدروسة ، دفعت لكبرى الجمعيات الدينية ، فى جو من إلحاس . .
لم يلبث أن فتر . . ثم قبر المكتوب ، والمقول . . ولئن أفضى بي ذلك
إلى أسف أوضجر ، فإنى لأرجو ألا يفضى إلى يأس ، واذكر دائما أن محمدا
صلوات الله عليه بعد بضعة عشرة عاما من الدعوة قد انتهى به قومه إلى
مؤامرة شاملة لقتله وتفريق دمه - وإن لنا فى رسول الله لقدوة ، فى الثبات ،
والإغراء بهذا الإصلاح ، عن طريق التدين الموجه وسلاما

أنشودة العيد

أنتقام من الموسيقى التوثبية مخفف لها كل قلب عربي

الله أكبر . . . الله أكبر . . . لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر
ولله الحمد . . . الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا
لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم
الأحزاب وحده . لا آله إلا الله . . . ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين
ولو كره الكافرون

الله أكبر . وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ،
وَالْمَلَائِكَةِ ، وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ، يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوْعِهِمْ وَيَفْهَمُونَ
مَا يُؤْمَرُونَ . . . وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ الْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .
فَأَلْحِكُمْ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

الله أكبر كبيرا : الله أكبر ، على كل من طغى وتجبر . . . فلا مستعبد
ولا مستبد ، ولا طاغية ، ولا متجبر . . .

الله أكبر . إنه لا يجب المستكبرين . فليئس مشوى المتكبرين .
تلكم من هدى القرآن ، نعمة في أنشودة العيد ، يرددها المكبرون
فتتجاوب بها الأرجاء

لا إله إلا الله .. وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .. آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ
 وَاحِدٌ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ .. وَمَنْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ .. وَمَا مِنْ
 إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .. وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
 فَا هُوَ إِلَّا السَّيِّدُ الْوَاحِدُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ بِكُلِّ مَا فِي هَذَا النَّظْمِ مِنْ قُوَّةٍ ..
 فَإِنْ قَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ : مَا عَلَّمْتَ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي .. لَنْ
 آتُخِذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُوتِينَ .. قِيلَ لَهُ : وَمَنْ يَقُولُ مِنْهُمْ
 إِنْ أَلِهَةٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ .

تأسلمكم من هدى القرآن نعمة في أنشودة العيد ، يرددها المكبرون
 فتدوى منها الأصداء .

صدق وعمره .. وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا .. إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ . وَعَدَّ
 اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
 اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
 وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَقْبِذُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ
 كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا وَمَنْ أَوْفَى
 بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ .. إِنَّهُ لَا يَبْيَأُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ .

تلكم من هدى القرآن نعمة في انشودة العيد يوقهها المكبرون
فتنعمش الأرواح ، ويتجدد الرجاء .

نصر عبده يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ
أَقْدَامَكُمْ إِن يَنصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذَلْكُمْ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ . وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ،
إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ .. إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ .. وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ
فسلا يخش المؤمنون قلبه ولا يرهبوا قوه .. كَمُ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ..

تلكم من هدى القرآن نعمة في أنشودة العيد يرددونها المكبرون
فتربط على القلوب ، وثبت الأقدام .

وأعز جهنمه .. وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا .. كَتَبَ اللَّهُ لِلْغُلَبَةِ أَنَا وَرُسُلِي ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ .. وَلَقَدْ سَبَقَتْ
كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ، وَإِنَّ جُنُدَنَا لَهُمُ الْمُغَالِبُونَ
فالمؤمن وهو الجندي الذي أعزه القوى العزيز ، لن يسلم داره ،
ولن يبيع ذماره ، ثم يسعى بعدها على ظهر الأرض ينفس ويطعم ، شر

سكاننا من الحيوان الأعجم .. ان تكون تلك حال عزيز معتر، والله
العزة ورسوله وللمؤمنين .. أعز جفده ..

تلكم من هدى القرآن ، نعمة في أنشودة العيد ، يرددها المكبرون
فتشير العزة ، وتهيج الإباء ، وتحمي الكبرياء .

وهزم الأحزاب وعمره .. كان جفده المؤمنون حزبا واحدا ، تألبت
الأحزاب المتحالفة عليهم ، من نواحي الأرض ، فهزم الله بهم الأحزاب
وحداه ..

إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ
وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ
الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا . وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ
قَالُوا هَذَا الَّذِي وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا
إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ، . مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ، صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ
فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا .. أُولَئِكَ
كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ وَأَيَّدُهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ .. أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ
الْأَيُّ الْإِيْمَانِ حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

ولن تعصف الأهواء ، أو تضل الشهوات أعصاب حزب الله .. أولئك قد

اتلقت قلوبهم ، إذ كتب فيها الإيمان ، وممت أرواحهم ، إذ أيدت بروح من الله . . . وهم حزب الله ، الذي هزم الأحزاب .. وحده

تلكم من هدى القرآن نعمة في أنشودة العيد ، يرددها المسكرون ،
فتوحدهم القوي ، وتسكبت النزعات ، وتمخزي الشيطان .

باشرو .. دانيا وقاصيا .. يأتي هذا الراد إلا أن نكلمكم .. وقد
تكلمنا جميعا: دينيين ومدنيين وعسكريين ، حتى راح نشاطنا كلاما ؛ ولقد
ما أخشى أن يحسب الكلام جهادا والقول عملا ، .. ثم يظل الراد يأتي
إلا أن نتحدث ، وهو الذي هون من شأن الحديث ، وزعزع آدابه ، فلم
يلزم مستمعا اصغاء ، ولم يوجب على مدعو أن يجيب نداء ، ويريد دائما
أن نتحدث ، حتى في العيد .. ولقد ألفت أن أفزع في ذلك دائما إلى هدى
القرآن ، لأن هذا القرآن تاج أدبنا ، ومعجزة ديننا ، ومفرعنا وملتقانا ،
مهما تفرق السبل تلتق عنده ، ومهما بعدما بيننا تقرب به ؛ وكذلك
التمست في هديه الحديث عن العيد . لأنه الملاذ في توجيهنا ، والمنتهى في
أصول تفكيرنا ، قد انتظم الأسس البعيدة ، واحتوى جوامع السنة ،

(١) الراد : من أخف ماسمى به الراديو ، وهو يردد الأصوات

وآرى إليه كل مفكر، فاطمأن منه إلى اليقين ، وارتاح فيه إلى الحق المبين .

بأسره .. دانيا وقاصيا .. يتحدثون عن آداب العيدين ، فيما يتناولون

مبذكرون التكبير - على أحكام لهم فيه ، والتكبير شعار اسلامى ، له دلالاته النبيلة ، ووقعه الاجتماعى الرائع ، إذا ما اتخذته الجماعات شعارا ، فهو قوى الإيحاء ، بعيد التأثير .. وقد أخذ التكبير هذه الصورة الدائمة ، يجر بها فى المساجد والطرق ، موقعة ، منقمة ، على أفواء الجماعات المحتفلة به فى وقار الشيوخ ، وسنتهم الرزين الحزين حيناً .. وفى حميا الشباب ووقدته حيناً ، واتسقت على الزمن عباراته ، ذلك الاتساق . فطلعها ذلك الشعار الجليل من إكبار الله وحده .. ومقاطعها ذلك التوحيد الأبى المترفع .. وتفاصيلها تلك الهتافات العزيزة الكريمة ، فوسعى لكل أولئك أن أسميها فى حق أنشودة العيد .. وأر أشعر أن ما ائتلف فيها من الأنغام القوية ، والمعانى الاجتماعية إنما هو ترديد قوى ، لأصداء هذا الهدى القرآنى ، راض دائماً النفوس البارئة على عزة وإباء ، وطموح ، ورجاء .. وكذلك مضت على الأجيال أنشودة العيد فيهم أنغاما من موسيقى القرآن المتوئبة للتسامية .

بأسره .. دانيا وقاصيا .. إذا ما كانت الأعياد مواقيت للذكرى ،

فهل أقومك ، إذا ما رددوا أنشودة العيد السائرة ، أن يذكروا أن أسلافا لهم

كانوا يرتلون هذه الأنشودة من قلوب عامرة بمعانيها ، ترقص على توقيعها
ألوية لهم ورايات، عقدت للمجد والنصر، وأفاضت على الدنيا الخير والبر، وخلقت
لأهلها أطيب الذكر .. هل يذكرون اليوم .. إن الذكرى تنفع المؤمنين
باشرو .. دانيا وقاصيا .. هل لك إذا مررد اليوم بنوك أنشودة
العيد ، بما فيها من نجات هدى القرآن ، أن تذكركم أنت بأن من هذا
الهدى كراهة القول بغير فعل

بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . . . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ . . . أَئِنذًا ذُكِّرُوا
لَا يَذْكُرُونَ . . . وَإِذَا هُدُوا يُهْتَدُونَ ..

باشرو .. دانيا وقاصيا .. عاد بنيك العيد في يقظة ، وحياة ، يرتلون
أنشودته الكريمة الظاهرة ، بنفوس مشرقة ، وقلوب واثقة ، وهمم واثبة ،
وعزمات غالبية ، فيكون حقا، العيد السعيد، يهتثون به ويهناون .. يومئذ
يحل لهم القول بعد العمل، وتطيب لهم حياة الكرام المكرمين ، وتعذب
في أفواههم أنشودة العيد للمؤمنين .

الله أكبر .. الله أكبر كبيرا . لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ،
ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .. لا إله إلا الله ولا
نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
وسلام عليهم يومذاك في الصادقين

سنة ١٩٤٣ م

الله أكبر

العصار الأكرم في حياتنا

أيها المؤمنون . . .

سلام الله عليكم ورحمته . . . إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
أذنتكم ، فيما سلف من حديث ، بأن الحياة كرامة مناضلة : وهأنتم هؤلاء ،
تشهدون نضال الأمم عن كرامتها - فيما تؤمن به -
ونباتكم أن الأمة إنما تقاوم الطغيان ، الواقع عليها من غيرها ، أو من
مفسدى أبنائها ، بقدرما تشعر به ، من كرامتها ، حين يعمل الخاصة
فيها ، لإذ كآء هذا الشعور ، ويجاهدون في سبيله . . .

ورأينا من تدبير القرآن لهذا كله طرفا صالحا ؛ كما عرفنا ، أن له وراء
ذلك ، مرامي ومقاصد ، في هذا الشأن ؛ تتابع القول الآن في جانب
منها . . . لأن هذا الشرق . الذي يبغى عليه الغرب دائما ، احوج ما يكون
إلى أن يعرف تلك المرامي ، من هدى القرآن ، ويتبين تلك المقاصد
من تدبير الإسلام ، ليؤمن بنفسه إيمانا وثيقا ، ويحس بمواطن القوة فيه
ومصادر العزة ، إحساسا ، صادقا فعلا .

أيها الشعرون بوجودهم .. إن هذا الإنسان قد أمدته الفطرة بقوى أصيلة تدفعه إلى ما يعمل، وتجنبه ما يترك .. ولأصحاب العلم بالنفس أن يختلفوا ، حول ذلك لمشاء لهم البحث والدرس ؛ فهم يلمحون، في كل حال، قوى تتضافر وتتعاون . على توجيه عمل الإنسان إلى هدف له كرامته وفيه رفعة .. فالإنسان بفطرته ، فخور ، ميال للمباهاة ، محب للمحمدة يمنح الى الظهور، ويغضب بالثناء، على حين يكره الذم ، وينفر من اللوم .. وذلك فيه مرتبط بميله إلى كل ما فيه لذة ومسرة ؛ وبجافيه عن كل ما فيه ألم وضر ... ثم هذا منه يتصل برغبته في السيطرة على غيره ؛ وتصريف شأنه بنفسه، مع ما فيه من سعى إلى المشاركة الوجدانية، لمن يعيش معهم الإنسان ويشاطرهم شؤون الحياة ..

وهو ذلك المقاتل المناضل عن نفسه ؛ ثم اندفع في المنافسة ؛ يعمل مساواة من هو معهم ، ثم يتفوق عليهم .. فتلك القوى وأشباه لها ، في بناء هذا الإنسان وكيانه ، يدفعه كل منها إلى الاعتزاز بنفسه ، كما تتصارع كلها ، على دفعه إلى كرائم المطالب .. فحبه للظهور والمباهاة ؛ وحرصه على أن يحمده ويثنى عليه ؛ يغريه بالعظام ، ورغبته في السيطرة ، ونهوضه للنضال والمقاتلة وتوجهه للمكارم وتصديه للمنافسة والمسابقة يدفعه الى التفوق والتميز .. وهكذا ينطوى هذا الإنسان ، على كثير من الدوافع الخافزة ؛ والعوامل التي تثير ولوعه بالكرامة ، وتهيبه للذود عن العزة .

أيها الشعاعون بوجودهم — ما أكثر ما ينتفع سواس الجموع ، بهذه
القطرة ، إذا ما أحسنوا رياضتها ، وتلقوها بما يبعث حميتها . ولهم في ذلك
أساليب مختلفة ووسائل متنوعة . يقوم أكثرها على التنبيه المتصل ، والإغراء
الدائب ؛ مستعينين في ذلك بما يثير الوجدان البشري ، من مختلف الفنون
فللتصوير أثره في توجيه المشاعر ، وللموسيقى أثرها .. وللممثل أثره .. وهكذا ؛
ومن أقرب هذه الوسائل ، وأكثرها شيوعا ، في سائر العصور ومختلف
الأمم ؛ ومن أفعالها بالألباب ، فن القول ، وبيع الكلام ؛ فإن
الألفاظ والعبارات ، لتحل في التأثير محل الصور الالفة للنظر ، الموجهة
للرغبة . وذلك إذا ما استخدمت تلك الألفاظ والعبارات استخداما ليقا
خبيرا بما يلائم اللفظ من صورة تثار بسماعه ، وتنبه إليها النفس بلفظه ،
فما تقع الألفاظ المنتقاة ، بتلك الخبرة اليقظة ، على آذان السامعين ، حتى
تبعث فيهم احساسا ، يمس مواضع التأثير الدفين . ويهيج أعنف الدوافع
وأقواها . . . ومن هنا يكون انتفاع القادة ، وأرباب الحكم بالعبارات ؛
وأفضل ما يكون هذا الانتفاع بتخيير ألفاظ ، مركزة ، موحية ، مثيرة ، جامعة
للمعاني ، يرسلونها في الناس فتسير فيهم مبدأ لهم ، تتركز فيه فكرة ، وخطة ، وشعارا
متناقلا ، وقعه على النفس أقوى من النعمة المدوية ، وأوضح دلالة من الصورة
الملونة البارزة ، يدفعهم إلى القتال لتحقيق معناه ، والجهاد لإدراك مغزاه
بصبيهم تردده ، ويسحرهم وقعه ، ثم ما يلبثون أن يتخذوه سمة وشارة ،

تحقق بها أعلامهم ، وترفع لإعلانها بنودهم، حتى لتكون موضع التقديس
القوى ، ومحل التجلية الكبرى.. تنبعث من حروفها.. أشعة ساحرة وقيصر
نغم صوتها قوة وإهابة، كما كانت كلمتا « الحرية والنساء» شعار الناضحين
المطالبة بحقوق الإنسان.. وكما تكون في أيام السلم والرخاء عبارات سائر
من المبادئ والشعارات، تهز الجماعة هذا شديدا ، وتدفعها دفعا عنيفا ، إذا
ما رددت في أناشيد منغمة ، وهتافات صارخة .. وفي تلك العبارات تسمع
خلاصة صادقة ، لخلق الأمة ، ومدى آمالها وآفاق ميولها ، وقوة شعورها
بذاتها ، واعتمادها بنفسها . . . فإذا ما تأيدت تلك الشعارات والمبادئ ،
بقوة الاعتقاد، ونفحت بجملة الإيمان، وحاطتها حرمة الدين كان أثرها في
النفوس أفعال ، وأقدس ، وأنفذ ..

أيها المعتزون بعزة الإيمان . هذا المعنى الاجتماعي في توجيه أفكار
الأمة، وبعث مشاعر الشعب، هو المعنى الذي نلتهمه من هدى القرآن ، فرى
أول ذلك: أن هذا القرآن يرى في الإله المعبود وصورته في نفس المؤمن، مصدر العزة
وأصل شعور بالكرامة، إذ يملأ تصور الإله وصفاته، والاستنصار به، والاتجاه
إليه ، ويشير التأليه العابد، في مختلف صور ولونا من الشعور الكريم المعزز . .
فهؤلاء عابد وفرعون الوثنيون، يقسمون بعزته: قَالُوا بَعْرَةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَجِّنُ
الْقَابِلُونَ .. وهاهو ذا القرآن يجهر بأن المشركين قد اتخذوا من اتخذوه ،

من شركاء الله ، التمسنا للعزة . . فيقول إِتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ، كَلَّا ، سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا . . وهو يقول إن العزة الكاملة إنما هي في الإيمان بآله القرآن ، على ما صورته في قوله سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ - إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا .

ومن لا يعرف هذا الإله ، فليس عزيزا . . وخطأ أن يرجوا الاعتزاز ، كما يقول : بَشِيرِ الْمُتَنَافِقِينَ ، بَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُهُنَّ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ !!

فإن العزة الكاملة لله ورسوله ، ثم كانت بذلك للمؤمنين

أيها المعتزون بعزة الأيمان . . جمل القرآن لكم هذه العزة ، فسأير بذلك فطرة الله ، التي فطر الناس عليها ، وأسعفكم على طلاب الكرامة ، بما في تلك الفطرة ، من نوازع كريمة ، ودوافع موجبة ، على ما أسلفنا ، من بيان لذلك آنفا . . ثم راح القرآن يحكي تلك العزة في نفوس المؤمنين ، وأحسب أنه من تديبير القرآن في ذلك عمدته إلى ما أشرنا إليه ، من الإثارة الوجدانية بالقول المبين ، يرسله شعارا ، مرفوحا ، ومبدأ ثابتا . . وذلك القول هو المهتاف الإسلامي المردد ، شعارا خالدا للجماعة الإسلامية الكريمة ألا وهو : الله أكبر . . .

أيها المعزرونه بعزة الله .. يحكون من فترة الوحي ، عن الرسول عليه السلام ، بعد بدنه ، ماتعرفون خبره ؛ وقد كان أول شيء نزل بعد تلك الفترة ، قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ كَفَرُوا فِي دِينِكُمْ وَأَنَّهُ لِيَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاَنزِلَ قَائِلًا قَدْ أَفْلَحَ الْوَعْدَىٰ إِنَّ إِلَهًا لَّهُ الْأَكْبَرُ » . فأمرا الرسول -ص- بأن يقوم ، قيام عزم وتصميم ، وأن يختص ربه بوصف الكبرياء ، وأن يقول « الله أكبر » ؛ فكان في نزولها اليقين ، بأنه الوحي ، وقد حمى بعدها وتتابع ؛ وقال عليه السلام « الله أكبر » فكبرت خديجة ، مؤازرته الكريمة ، وفرحت ... وكانت جبهة بالتكبير تلاها الجسد والنجاح .. وصار هذا التكبير ، شعاراً إسلامياً معلناً يهتف به المؤمن ، في تنفس الصباح ، وبهرة المهار ، وفي وجحة الشفق ، وغلس الظلام ، أو جلوة القمر ، فتردد صوته أجواز الفضاء ، وتتلقاه أبواب السماء ؛ حين يقول المرجعون في الأرض من سامعيه ! الله أكبر ، على كل من طغى وتجبّر ..
الله أعظم ، والعزة لله ، والدوام والبقاء لله ..

ويخف المصلون للصلاة خشعاً ، فيرفع الملك المتوج يديه ، هاتفا في روعة : الله أكبر : وما يلبث أن يعيدها وهو يهوى إلى الأرض ، ليمرغ جبهته ، ويرغم أنفه ، خاشعاً لكبرياء ربه ، رب العزة .. حين يجهر الضعيف ، الفقير ، الصائح ، من ورائه وحواليه ؛ ماثلاً أذنيه بصيحة : الله أكبر ..
الله العظيم الجليل ، أكبر من كل شيء ، وبها يمتلىء قلب الفقير المؤمن كرامة ، بوقع هتافه المعترز ، حين يخشع قلب العزيز واجفا ، عانيا لسطوة الله العلي الكبير . . .

أفيخشى بعدها المؤمن طاغيا؟ وكيف! والله أكبر ، على كل من طغى وتجبر .
أوبيئس مؤمن بعدها بطغيان ، فيرهب بقاءه ، ولا ينتظر زواله؟ وكيف!
والله أكبر ، والعزة لله ، والدوام والبقاء لله .

أيها المنزور بكبرياء الله . . لقد مضى المؤمنون بعدها ، يبنون دولتهم
ويؤثلون مجدهم ، فاتحين مناضلين ، فكانت : الله أكبر ؛ نداء بيده
الموقعة ، يمس شغاف قلوب مؤمنة ، ويفرغ في نفوس جند الله ثقة بنصر
القوى العزيز ، إذ يريهم خصومهم قلة ضعيفة ، فيجردون سيوفهم ،
وصلصلتها : الله أكبر . . وإذ ذلك ما القرن المدجج أمام قوة الله ! ! وما
القارس المنازل أمام قوة الله ! ! الله أكبر .

كذلك كان نشيد المسلمين في أعيادهم : ترنيماته التكبير ، ومقاطعه
التهليل ، وألحانه التأيد ، وأنغامه الاعتزاز بوعده الله . . الله أكبر كبيرا . لا إله إلا
الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ،
لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه . . وهكذا فليتغن المؤمنون ، بأنشودة
العزة ، ولحن النصر ، وموسيقى الكبرياء . . وهل تخشى أمة هذا شعارها
طغيانا عاديا ، أو ترهب بغيًا ، مهما يكن عاتيا ! ! وكيف وربها الكبير
المتكبر . . قد عرفت أنه المتكبر ، الذي تكبر عن ظلم عباده ، وتكبر
على عتاة خلقه^(١) وكان حقا عليه نصر المؤمنين .

(١) لسان العرب مادة ، ك ، ب ، ر .

يامعززين بكبرياء الله .. فطركم الله وفي أنفسكم ما يفرسكم بالتسامي؛
وأفاض عليكم إيماناً معترًا بمرزته، متعالياً بكبريائه؛ فما يعرف المؤمنون العزة
إلا بالله؛ ولن يجسبوها يوماً ما تكون من غيره، ولا يفتره. وكذلك كان
من مأنورهم النبيل، قولهم: من استعز بالعبد أذله الله. . . ومن
استعز بقوم أورثه الله ذلهم... فليفتيء المزعزعون إلى نفوسهم، ففيها فطرة
الغلب والسبق، وليشوبوا إلى إيمان، يوحى بالعزة، ويدين الكرامة، فيسمعوا
واعين، كل حين: الله أكبر. الله أكبر ..

بأسرو .. هذى مآذذك شاخصة، لم ينقص لها عديد، بل إنها تزيد؛
وهاهم أولاء مؤذنون يؤذنون، أو صارخون يصرخون؛ . . بل هانت
دا تسمع شعار العزة، وشارة الكبرياء تصخب بها العامة، في الطرقات
والأسواق، مكبرين، فيما يقال لهم، فيقولون.. وكل هذا حين تهتز كبرياؤك
ويطفي أعداؤك، ويخزي أولياؤك؛ وتذل إرادتك، وتهن قوتك؛ فليس
لك من الأمر شيء، ولا في دنيا الكرامة مكان .. وما هي إلا رسوم زائفة،
وخدع كاذبة، وأشباح مسيرة، وشيخوخ مسخرة، يعبت بها هزؤساخر،
وكيد ماكر... فهل ذل الإيمان، وقد جعلت لأهله عزة الله؟؟ .

هل هان الشعار وقوته من كبرياء الله؟! ..

وهل أخلف الله الوعد بالنصر، وقد كان حقا على الله !؟ ..

حاشا الله ؛ فلا إيمان في قلوبهم . ولكن كلمات على ألسنتهم .. ولو
آمنوا ما استنصروا أعداءك ، ولا استمروا بالعبيد ، ونسوا الله ؛ ولا أنكروا
كل محض ، وخافوا كل مادة ..

ما هتفوا بشعار هز شيطان قلوبهم .. بل صاحوا بخداع يصل بهم إلى أطاعهم ..
وما كان هؤلاء هم الموعودون بالنصر !! .. إنما وعد المؤمنون .. فاكشف
يا شرق مكرهم ، واردد كيدهم .. وادع ربك لهم ، ذرة من الإيمان العزيب ،
يبدل ضعفهم قوة وقلوبهم كثرة ، حين يهتفون معتصمين واثقين :

الله أكبر

١٩٤٣ / ٢ / ٢٧

الفهرست

صفحة	
٥	عقول .. وقلوب
٧	قالوا في حكم الإسلام .. وأقول
١٧	في رمضان .. معنى حى لنزول القرآن في رمضان
٢٨	عن فاسفة الجوع .. الجوع عند الفقهاء والصوفية
٣٨	عن فلسفة الجوع — ليس الجوع طابع الصوم
٤٨	موسم خير .. رمضان تدبير حيوى للاصلاح الاجتماعى
٥٦	موسم خير — ٢ — .. مواسم فرص للاصلاح
٦٤	الدين والحياة .. الاصلاح بالدين يتطلب قدرة وخبرة
٧٠	الدين والحياة — الصوم سموتسامع يخفف أثر افتراق الأديان
٧٥	رمضان تدريب .. حس القرآن وتفاصيل أحكامه تجعل الصوم تدريباً
٨٥	الصوم فى حياتنا ... تدريب فاسدمع وفرة المدرين
٩٣	عيد القطر .. والدين الموجه فرص كبرى للنشاط القيم فى تمييزنا
١٠١	أنشودة العيد .. أغانى متوثبة يخفق لها كل قلب عربى
١٠٨	الله أكبر .. الشعار الأكرم فى حياتنا

للمؤلف

صدر عن دار المعرفة

١ - من هدى القرآن ... القادة الرسل

٢ - الجنسية والسلام

٣ - مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٢٧٩٩

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٣٠٠ - x

الصوم لفتٌ للبشرية إلى فطرتها لكيلا تطفى ، وهو
تشبهه – قدر الإمكان – بالملائكة المقربين بالكف عن
الشهوات والخلو منها ، وأنه قهر للنفس ووسيلة للتقوى
والعطف والرحمة وشكر النعمة .

والتأمل لحكم الصوم يستشف فيها نعمات فلسفية
ويستمع لنعمات زاهدة ثم هو بعد يشهد نزعة مادية
استمتاعية .